تقنيات الحِجَاج

في لامية العجم "مقاربة تداولية"

بقلم الدكتورة

فاطمة قطب مصطفى معوض

المدرس في قسم الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الخامس (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقنيات الحِجَاج في لامية العجم "مقاربة تداولية"

فاطمة قطب مصطفى معوض

قسم الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف جامعة الأزهر جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : FatmaMoawad.7722@azhar.edu.eg

الملخص

اكتسب الحجاج أهمية كبرى في الدراسات اللغوية الحديثة في حقلها التداولي لما ينضوي عليه من التفاعلية المتبادلة بين المرسِل والمرسَل إليه، والتي يقف فيها المرسِل مدافعًا عن أفكاره هادفًا إلى استمالة المرسَل إليه، وإقناعه بمختلف التقنيات الحجاجية، من هذا المنطلق كان اختياري موضوع (تقنيات الحجاج في لامية العجم مقاربة تداولية)، وقد كان اختياري لامية العجم نموذجًا للقصيدة الغنائية التي يتغنَّى فيها الشاعر بآماله وآلامه وتجاربه الخاصة في محاولة لإثبات أنَّ الحجاج ليس حكرًا على قصائد النقائض ونحوها مما يحمل الطابع الحجاجي، بل إنَّ القصيدة الغنائية لا تختلف عن غيرها في كونها من الممكن أن تكون مادة خصبة للحجاج بمختلف أنواعه من حجاج بلاغي ولغوي وغير ذلك، وقد حاولتْ هذه الدراسة تتبع البعد الحجاجي للامية العجم بغية الكشف عن أهم الآليات والتقنيات التي عملت على التواصل الحجاجي بين المرسِل والمرسَل إليه، فكانت التداولية هي المنهج الأمثل لسبر أغوار النص والكشف عن أبعاده المختلفة، وانتهت الدراسة إلى جملة من النتائج منها ما يلي:

- معظم التقنيات الحجاجية التي اهتدى إليها علماء النقد في العصر الحديث، وخاصة علماء الغرب، أمثال (برلمان)، و(تيتكاه) وغيرهما، جاءت تابعة لما أسَّسه الشعراء العرب القدامى في أشعارهم.
- ثراء لامية العجم بالتقنيات الحجاجية المتنوعة مما أثبت أنَّ الحجاج

ليس حكرًا على قصائد النقائض ونحوها مما يحمل الطابع الحجاجي، بل إنَّ القصيدة الغنائية لا تختلف عن غيرها في كونها من الممكن أن تكون مادة خصبة للحجاج بمختلف أنواعه.

• أثرى الطغرائي لاميته ببعض التقنيات اللغوية كالتكرار والأساليب الإنشائية الطلبية مما كان لها أثرها في استمالة المتلقي وتوجيه سلوكه وحمله على الاقتناع بفكرته.

• أضفى الطغرائي على لاميته قوة حجاجية من خلال استعمال بعض الروابط الحجاجية في إنجاز سلالم حجاجية، مما كان له أثره الفعال في استمالة المتلقي وإقناعه.

• استطاع الطغرائي شحن بعض الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، بطاقة حجاجية قوية مما كان له دوره الفعال في إقناع المخاطب بأفكاره.

• اعتمد الشاعر على بعض الحجج الإقناعية التي يخاطب فيها عقل المتلقي في محاولة لاستمالته وإقناعه بالفكرة المرادة، كالحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، مما كان له أثره في إكساب لاميته طاقة حجاجية عالية.

الكلمات المفتاحية: الحجاج ، التداولية ، التقنيات الحجاجية ، لامية العجم ، الطغرائي .

Techniques of pilgrims in Lamaiat Al-Ajam "a deliberative approach"

Fatima Qutb Mustafa Moawad
Department of Literature and Criticism - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Beni Suef, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: FatmaMoawad.7722@azhar.edu.eg

Abstract

Al-Hajjaj has gained great importance in modern linguistic studies in its deliberative field because of the mutual interaction between the sender and the addressee, in which the sender stands to defend his ideas with the aim of winning over the addressee, and persuading him with various argumentative techniques. Ajam Lamiyya is a pragmatic approach), and my choice of Ajam Lamaiyya was a model for the lyric poem in which the poet sings of his hopes, pains, and own experiences in an attempt to prove that Hajjaj is not limited to antiquity poems and the like, which bears the argumentative character. Rather, the lyric does not differ from others in that it can To be a fertile material for pilgrims of all kinds, including rhetorical and linguistic pilgrims, and so on. This study attempted to follow the argumentative dimension of foreign illiteracy in order to reveal the most important mechanisms and techniques that worked on the argumentative communication between the sender and the addressee.

•Al-Tughra'i enriched Lamitah with some linguistic techniques such as repetition and ordering construction methods, which had an impact on winning the recipient, directing his behavior and making him convinced of his idea.

•Al-Tughra'i gave his lamia a pilgrim power by

employing some pilgrimage links in the completion of pilgrim ladders, which had an effective effect on persuading and persuading the recipient.

•The poet employed some graphic images of simile, metaphor and metonymy, and charged them with a strong argumentative energy, which had an effective role in convincing the addressee of his ideas.

• The poet relied on some persuasive arguments in which he addresses the mind of the recipient in an attempt to persuade him and convince him of the desired idea, such as semi-logical arguments that rely on logical structures, and arguments based on the structure of reality, and arguments based on the structure of reality, which had its effect in charging his illiteracy with a high argumentative energy.

Keywords: Al-Hajjaj - Pragmatics - Al-Hajjaj techniques - Lamaiat Al-Ajam - Tughraei

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الكريم المنان الذي خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على نور الأكوان سيدنا محمد مَن حمل أمانة التبليغ وأدَّاها بكل صدق واقتدار، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام، وبعد،

لقد حاز الحجاج على أهمية كبرى في الدراسات اللغوية الحديثة في حقلها التداولي لما ينضوي عليه من التفاعلية المتبادلة بين المرسِل والمرسَل إليه، والتي يقف فيها المرسِل مدافعًا عن أفكاره هادفًا إلى استمالة المرسَل إليه، وإقناعه بمختلف التقنيات الحجاجية، والمتدبر للشعر يجد هناك ارتباطًا وثيقًا بينه وبين الحجاج؛ حيث إنَّ التأثير من أهم غايات الأدب بعامة والشعر بخاصة، والتأثير يحمل في طياته التغيير وتوجيه الفكر والسلوك الوجهة التي يريد، وهذا ما ينشده الحجاج، من هذا المنطلق كان اختياري موضوع **(تقنيات الحجاج في لامية العجم مقاربة تداولية)**، وقد وقع اختياري على "الطغرائي"[١]، لما حظي به من مكانة أدبية عريقة بين أدباء عصره؛ حيث بلغ

---

(١) "هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد أبو اسماعيل الأصبهاني، ولد عام ثلاثة وخمسين وأربعمائة في حي من أصبهان" من بلاد فارس وقد عاش في العصر العباسي أثناء فترة الحكم السلجوقي، وهي فترة معروفة بالاضطراب السياسي والفكري والاجتماعي، فاختار السفر إلى بغداد والإقامة بها هادفًا إلى تحقيق طموحه وآماله؛ حيث عُرف بطموحه العالي، وقد ولد في أسرة ينتهي نسبها إلى "أبي الأسود الدؤلي، وقد ألمَّ بمعارف عصره، وقال الشعر، وأحسَّ في نفسه طماحًا إلى المناصب، فانخرط في سلك الكتاب يتقرب من المتنفذين والوزراء كمعين الملك ونظام الملك، ودلف إلى السلاطين فخدم ملكشاه"، وأخذ يسعى جاهدًا طمعًا في أعلى المناصب إلى أن عُيِّن في وظيفة "كاتب الطغراء، والطغراء التوقيعات لمحمد بن ملكشاه، ثم ولاه الإشراف على المملكة"، ولقب بالطغرائي نسبة إلى وظيفته؛ حيث كان يستخدم الطغراء في كتاباته، وهي "الطرَّة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ، ومضمونها =

بأدبه وشعره منزلة رفيعة، ومكانة سامية، وقد كان اختياري لامية العجم

= نعوت الملك الذي صدر عنه"، ولم يكن طموحه ليقف عند هذا الحد بل كان يسعى دائمًا للصدارة وطمع في الوزارة، فأحسَّ أعداؤه بذلك، فظلوا يراقبونه، "فيتتبعوا حركاته وسكناته ويفسروا كل نأمة، ويحسدوا ويحقدوا، ويشوهوا الحقائق ويختلقوا الأباطيل ويصبح ديدنهم إزاحة الطغرائي عن طريقهم، والاستعانة في سبيل تلك الغاية بكل وسيلة"، وبالفعل نجحوا في تأليب السلطان عليه، فبعد أن ولاه السلطان الإشراف على المملكة "عُزل الطغرائي من ديوانه عام ٥٠٥هـ، وتلك مصيبة عظمى مضاعفة، فلقد خسر الديوان في الوقت الذي كان يحدث نفسه بالوزارة"، فأحسَّ الطغرائي بخيبة الأمل وأنه "في بغداد ليس أسعد حظا مما كان عليه في أصفهان"، فاعتزم الهجرة، وتملكه الحنين إلى وطنه، ويبدو أنه نظم لامية العجم أثناء تلك المحنة، ويبدو كذلك أنه قد استوحى لقصيدته هذا الاسم من لامية الشنفرى قاصدًا بذلك أن يضمن لها الشهرة والذيوع على غرار قصيدة الشنفرى، ولم يكن الطغرائي ليستسلم لهذا المصير المؤسف "فعاود المسعى وإصلاح الأمور حتى كان عام ٥٠٩هـ رأينا القاسم الحريري ــ صاحب المقامات ــ يكتب إليه يهنئه بولاية الطغراء بأصبهان"، فعاود أعداؤه حسدهم له، وحقدهم عليه وسعيهم لفصله من منصبه، "ولما لم يرَ أعداء الطغرائي في فصله مطعنًا ولا عليه من القدح مكمنًا، أشاعوا بينهم أنه ساحر، وأن مرض السلطان (محمد) ربما كان بسحره"، وظلوا هكذا حتى أمره السلطان بملازمة بيته، "ولم تكن مطامح الطغرائي لتستجيب لهذا الأمر، فقد وصل الموصل حيث السلطان مسعود بن السلطان محمد...فاستوزره مسعود وأصبح بالمؤيد مؤيدا وسداده مسددا"، ولم يكن السلطان مسعود على وفاق مع أخيه السلطان محمود؛ إذ كانا يتنافسان على الملك، "ووقعت بينهما وقعة بهمذان فانهزم عسكر مسعود، وأسر أصحاب السلطان محمود خلقًا من أعيان أصحاب مسعود منهم الأستاذ أبو إسماعيل الطغرائي، فأمر السلطان بقتله لما في نفسه عليه...وقال لم أقتله إلا لقلة دينه وسوء معتقده"، "فقتل بين يديه صبرًا في ربيع الأول من عام ٥١٥هـ وكانت وزارته سنة وشهرا، وقد جاوز الستين"، وهكذا كانت حياة الطغرائي متقلبة بين حلو العيش ومره، وهكذا كان يرى نفسه دائمًا يستحق الأفضل إلا أنَّ الحظ لم يكن حليفه، والحسَّاد لم يسعدهم توفيقه، فظل يناضل من أجل تحقيق آماله إلى أن فارق الحياة.

– يراجع معجم الأدباء ــ ياقوت الحموي ــ تحقيق/ إحسان عباس ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط١ ــ ١٩٩٣م ــ ص ١١٠٦: ١١٠٨، وكذلك ديوان الطغرائي ــ تحقيق علي جواد الطاهر، ويحيى الجبوري ــ مطابع الدوحة الحديثة ــ قطر ــ ط٢ ــ ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م ــ ص٩: ١٣.

نموذجًا للقصيدة الغنائية التي يتغنَّى فيها الشاعر بآماله وآلامه وتجاربه الخاصة في محاولة لإثبات أنَّ الحجاج ليس حكرًا على قصائد النقائض ونحوها مما يحمل الطابع الحجاجي، بل إنَّ القصيدة الغنائية لا تختلف عن غيرها في كونها من الممكن أن تكون مادة خصبة للحجاج بمختلف أنواعه، ومع أنَّ لامية العجم قد نالت حظًّا وفيرًا من الشهرة، وكثرة الشروح، بيد أنها لم تنل نصيبًا من الدراسة الحجاجية ــ سوى من الناحية البلاغية ــ رغم توفر تقنيات الحجاج بأشكالها المتنوعة فيها، وهذا ما دعا إلى الإقبال على دراستها دراسة حجاجية، وقد حاولتْ هذه الدراسة تتبُّع البعد الحجاجي للامية العجم بغية الكشف عن أهم الآليات والتقنيات التي عملت على التواصل الحجاجي بين المرسِل والمرسَل إليه، فكانت التداولية هي المنهج الأمثل لسبر أغوار النص والكشف عن أبعاده المختلفة؛ حيث إنها تتجاوز المستوى الدلالي لتبحث في علاقة اللغة بقائلها، وعلاقتها بالسياق الذي وردت فيه، فتركز على قصْدِيَّة المتكلم، وقدرة المتلقي على فهم هذا المقصد، مما يضمن نجاح النص في تأدية أهدافه ومقاصده، وقد سُبقت هذه الدراسة بعدَّة دراسات تناولت لامية العجم كان من أبرزها ما يلي:

١- البحث الذي قدمته الدكتورة/ نوال بنت سعود الفرهود، وموضوعه: **(الآليات التصويرية في حجاج لامية العجم للطغرائي دراسة تحليلية للخطاب الشعري)** مجلة كلية الآداب جامعة سوهاج العدد الثالث والخمسون الجزء الأول أكتوبر ٢٠١٩م، وهو بحث بلاغي وقفت فيه الباحثة على الآليات البلاغية للامية العجم من (تشبيه واستعارة وكناية) باعتبارها أسلوبًا من الأساليب الحجاجية ولم تتعرض لغيرها من الآليات الحجاجية المختلفة، كالآليات اللغوية والتداولية وغيرها، معتمدة على المنهج الاستقرائي التحليلي.

٢- البحث الذي قدمته الدكتورة/ منيرة بنت مرعي بن راشد الزهراني، وموضوعه: **(الإلحاق الحجاجي في لامية الطغرائي)** مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود المجلد الثالث والثلاثون العدد الخامس أكتوبر ٢٠٢٠م، وهو بحث بلاغي تناولت فيه الباحثة أسلوبًا من الأساليب التعريفية وهو (التعريف بالإضافة) كأسلوب إلحاقي حجاجي من أساليب تقوية الحجج لأجل الوصول إلى نتائج معينة، ولم تُعرِّج على غيره من آليات الحجاج المختلفة، معتمدة على المنهج الاستقرائي التحليلي.

٣- الدراسة التي قدَّمتها الباحثتان/ زايري بثينة، وطربان ربعية، وموضوعها: **(لاميتي العرب والعجم "البلاغة والجمال")** رسالة ماجستير جامعة العربي بن مهيدي كلية الآداب واللغات الجزائر ٢٠١٩م/ ٢٠٢٠م، وهي دراسة بلاغية موازنة بين لامية العرب ولامية العجم قامت فيها الباحثتان بتحليل بلاغي للقصيدتين، معتمدتان على المنهج الوصفي التحليلي.

٤- البحث الذي قدَّمه/ رحيم عيد علي فرحان، وموضوعه: **(لامية العجم دراسة أسلوبية)** مجلة القادسية كلية الآداب العراق المجلد الثاني عشر العدد الثالث ٢٠٠٩م ، وقد كشف هذا البحث عن الخصائص الأسلوبية التي تفرَّد بها النص دون سواه من النصوص الشعرية الأخرى.

ولا أنكر أنَّ هذه الدراسات كلها قيمة إلا أنَّ أصحابها لم يعالجوا التقنيات الحجاجية بأشكالها المختلفة في لامية العجم، فاستهدفت هذه الدراسة التركيز على دراسة التقنيات الحجاجية للامية العجم على ضوء المنهج التداولي، الأمر الذي لم تتناوله مباشرة الدراسات السابقة، فتأتي هذه الدراسة إجابة عن عدَّة أسئلة من أبرزها :

١- ما مفهوم الحجاج؟ وما علاقته بالتداولية؟

٢- ما الفرق بين الحجاج، والجدال، والحوار؟

٣- ما الروابط الحجاجية؟ وكيف وظفها الشاعر في إنجاز سلالم حجاجية؟

٤- ما أهم التقنيات الحجاجية التي وظفها الطغرائي في قصيدته لامية العجم؟

وقد جاءت هذه الإطلالة البحثية في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة:

تضمنت **المقدمة** أهميةَ الدراسة والهدفَ منها، ومنهجَها، وتساؤلاتِها، والدراساتِ السابقة، والخطةَ التي سوف تسير عليها.

أما **التمهيد** فجاء بعنوان "**إطلالة على حياة الشاعر وقصيدته لامية العجم**" ويتناول شقين، الشق الأول وقفت فيه الباحثة على تحرير مصطلح الحجاج في اللغة والاصطلاح، وفي القديم والحديث، وبيان علاقته بالتداولية، أما الشق الثاني فقد ضم نص قصيدة لامية العجم كاملا متبوعًا بنظرة موجزة حول القصيدة .

و**المبحث الأول** جاء بعنوان "**التأسيس المصطلحي للحجاج**"، وقد عنيت فيه الباحثة بأبرز التقنيات اللغوية من تكرار وأساليب إنشائية متنوعة، مبينة الأبعاد الحجاجية لكل منها، وكذلك التقنيات التداولية كالروابط الحجاجية، وعلاقتها بالسلالم الحجاجية.

وجاء **المبحث الثاني** موسومًا "**التقنيات الحجاجية اللغوية والتداولية للامية العجم**" وقد تطرَّقت فيه الباحثة إلى أبرز التقنيات البلاغية من صور بيانية ومحسنات بديعية والوقوف على الأبعاد الحجاجية لكل منهما.

أما **المبحث الثالث** فقد جاء تحت عنوان "**التقنيات الحجاجية الإقناعية للامية العجم**" وتمَّ فيه رصد أهم التقنيات الحجاجية الإقناعية، كالحجج التي تعتمد البنى المنطقية، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، والحجج المؤسسة على بنية الواقع.

ثم ذُيِّلتْ الدراسة **بخاتمة** أفصحت عن أهم النتائج التي توصلت إليها.

هذا والحمد لله الذي هيأ لي فرصة البحث، وأعانني على إتمامه، وأسأله جل جلاله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يوفقنا جميعًا إلى ما فيه الخير والسداد إنه على كل شيء قدير.

التمهيد: (إطلالة حول الحجاج، ولامية العجم)

•الحجاج بين البعدين اللغوي والاصطلاحي:

الحجاج لغة:

ورد في لسان العرب "التحَاجّ: التخاصم، وحاجَّه مُحَاجَّة وحِجاجًا: نازعه الحُجَّة، وحَجَّه يحُجُّه حَجًّا: غلبه على حُجَّته...واحتجَّ بالشيء: اتخذه حُجَّة، وحَاجَجْتُه أُحَاجّه حِجَاجًا ومُحاجَّة حتى حَجَجْتُه أي غلبته بالحُجج التي أدليت بها...والحُجَّة: البرهان، وقيل: الحُجَّة ما دوفع به الخصم، ورجل مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ"(١)، فابن منظور يصرِّح بالترادف بين الحجاج والجدل.

وجاء في الصحاح للجوهري أنَّ "الحُجَّة: البرهان، تقول حاجَّه فحَجَّه، أي: غلبه بالحُجَّة، والتحاجّ: التخاصم، وفي المثل: (لجَّ فحجَّ)، وهو رجل مِحْجَاج، أي: جَدِل"(٢)، ويرى المناوي أنَّ: "الحُجَّة: الدلالة المبَيِّنَة للحُجَّة أي المقصد المستقيم الذي يقتضي أحد النقيضين، ومنه "**فللـه الحُجَّـةُ البالِغـةُ**" (الأنعام: ١٤٩)، وقال الحرالي: الحُجَّة كلام ينشأ عن مقدمات يقينية مركبة تركيبًا صحيحًا"(٣)، فالحجاج يكون بين طرفين يحاول فيه أحدهما إقناع الآخر واستمالته لفكرته.

وقد وردت مشتقات الحجاج في القرآن الكريم في الكثير من المواضع، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ

(١) لسان العرب ــ ابن منظور ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط٣ ــ ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م ــ جـ٣ ــ مادة (حجج) ــ ص ٥٣.

(٢) الصحاح ــ أبو نصر بن حماد الجوهري ــ دار الحديث ــ القاهرة ــ د.ط ــ ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م ــ ص٢٢٦.

(٣) التوقيف على مهمات التعريف ــ عبد الرؤف المناوي ــ تحقيق/ عبد الحميد صالح حمدان ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ط١ ــ ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م ــ ص١٣٦.

إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (البقرة ٢٥٨) .

فالحجاج إذًا ضرب من الكلام يكون بين طرفين يحاول فيه كل طرف إفحام الآخر، وإقناعه بالأدلة والبراهين، لتكون له الغلبة عليه.

الحجاج اصطلاحا:

اختلفت وجهات النظر بين الدارسين حول مفهوم الحجاج؛ لذلك فإنه من الصعوبة بمكان تحديد مفهوم جامع مانع للحجاج؛ حيث تعددت مفاهيمه، فهناك من يعرِّفه بأنه "مجموعة من الترتيبات والاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم في الخطاب قصد إقناع سامعيه"(١)، بينما يرى البعض الآخر أنَّ الحجاج يطلق على "جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها"(٢)، ومنهم من يحدَّه بأنه: "إجراء يسلكه الفرد أو المجموعة لدفع مستمعٍ إلى تبنِّي موقف، اعتمادًا على إثباتات أو حجج"(٣)، ومنهم من ينظر إليه على أنه: "كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"(٤).

---

(١) القاموس الموسوعي للتداولية ــ جاك موشلر ، آن ريبول ــ دار سيناترا ــ تونس ــ د.ط ــ ٢٠١٠م ــ ص٩٣.

(٢) المعجم الفلسفي ــ جميل صليبا ــ دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ ١٩٨٢م ــ جـ١ ــ ص٤٤٦.

(٣) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ــ محمد طروس ــ دار الثقافة ــ الدار البيضاء ــ ط١ ــ ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م ــ ص٨.

(٤) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ــ طه عبد الرحمن ــ المركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء ــ ط١ ــ ١٩٩٨م ــ ص٢٢٦.

وبالتأمل فيما سبق يتضح أنَّ جميع هذه التعريفات تكاد تجمع علـــى أنَّ الحجاج نشاط خطابي يوجهه المتكلم للمخاطب بغرض التأثير عليه وإقناعـــه متخذاً في سبيل ذلك ما أمكنه من الحجج والبراهين التي تؤكد صحة حديثه.

- **بين المحاجَّة والمجادلة والمحاورة**:

تبين مما سبق أنَّ **المحاجَّة** في اللغة هي "المغالبة بالحجة"(١)، أي محاولة إفحام المخاطب، وإقناعه بالأدلة والبراهين، لتكون له الغلبة عليه.

والمحاجَّة هي: "أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حُجَّته ومَحَجَّته، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ... ﴾ (الأنعام: ٨٠)"(٢)، وذلـــك من أجل حصول الإذعان والتسليم بطريق الإقناع وليس الإلزام.

أما **المجادلة** في اللغة فهي: "اللدد في الخصومة، والقدرة عليها"(٣)، وهو مذموم لقوله تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧)، وعن ابن عباس "الجدال: أن تجادل صاحبك حتى تغضبه"(٤).

والمجادلة تعني: "المفاوضة على سبيل المنازعة، وأصله مـــن جـــدلت الحبل أي أحكمت فتله، ومنه الجديل"(٥)، ويستشف من ذلـــك وجـــود العنـــف والإلزام بالحجة في الجدال، ولذلك رأينا التوجيـــه القرآنـــي بالحســـنى فـــي

---

(١) لسان العرب ــ ابن منظور ــ جـــ٣ ــ مادة (حجج) ــ ص ٥٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن ــ الراغب الأصفهاني ــ تحقيق/ محمد سـيد كيلانـــي ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ د.ت ــ ص ١٠٨.

(٣) لسان العرب ــ مادة (جدل) ــ جـــ٢ ــ ص٢١٢.

(٤) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ــ أبو جعفر الطبري ــ تحقيق/ محمود محمد شاكر ــ أحمد محمد شاكر ــ مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة ــ ط٢ ــ د.ت ــ جـــــ٤ ــ ص١٤٢.

(٥) مفردات القرآن ــ ص٨٩.

المجادلة، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ **(النحل: ١٢٥)**.

أما **المحاورة** فهي: "المجاوبة...ومراجعة المنطق والكلام في المخاطبة"(١)، فهي محادثة بين شخصين أو أكثر، وتبادل الآراء بينهم حول موضوع ما.

فالمحاورة تعني: "المرادَّة في الكلام، ومنه التحاور، قال تعالى: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ﴾ (المجادلة: ١)"(٢)، ويكون بأن يستمع كلٌّ من الطرفين للآخر، وهو أسلوب من أساليب الأدب والذوق الرفيع.

نستخلص من ذلك أنَّ هذه الألفاظ الثلاثة بينها عموم وخصوص، أما العموم فهو أنَّ جميعها لابد فيه من وجود طرفين أو أكثر حتى تتم المحاجَّة أو المجادلة أو المحاورة، وأيضًا يشتركون جميعًا في مراجعة الكلام، فكلٌّ من المحاجَّة أو المجادلة أو المحاورة يتم فيه مراجعة الكلام والأخذ والردّ بين الطرفين، وأما الخصوص فيتمثل في أنَّ المحاجَّة تتسم بالمضاربة بالحجة على سبيل الإقناع لا الإلزام، وأما المجادلة فتتسم بالشدة وفرض الرأي اللذين يصحبان المنازعة والخصومة، بينما المحاورة تتسم بالهدوء؛ حيث تكون في الغالب بين الأصحاب، أو الأزواج، أو نحو ذلك.

---

(١) لسان العرب ــ مادة (حور) ــ جـ٣ ــ ص٣٨٤.

(٢) مفردات القرآن ــ ص١٣٥.

الحجاج عند القدامى:

أدرك علماء البلاغة قديمًا العلاقة الوثيقة بين البلاغة والحجاج؛ حيث أكدوا أنَّ البلاغة أحد الوسائل الحجاجية القوية لما تحمله من تأثير في النفوس وإقناع للعقول، فهذا **ابن المقفع** يجعل الاحتجاج أحد وجوه البلاغة، فحين سئل ما البلاغة؟ قال: "البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سجعًا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنا ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في **الاحتجاج**، ومنها ما يكون خطبًا، ومنها ما يكون رسائل"(١)، فهو يقر بأن الاحتجاج وجه من وجوه البلاغة، بينما يرى **خالد بن صفوان** أنَّ الحجة أحد ركني البلاغة؛ فحين سئل ما البلاغة؟ قال: "إصابة المعنى، والقصد إلى **الحجة**"(٢)، فقد حصر البلاغة بين هذين الشقين، أما **الجاحظ** فنراه ينقل رأي بعض أهل الهند وهو "جماع البلاغة البصر **بالحجة**، والمعرفة بمواضع الفرصة"(٣)، فهو يعطي للبلاغة وظيفة إقناعية، وقد ركز على الجانب التواصلي بين المتكلم والسامع وجعل غاية المتكلم والسامع تكمن في الإفهام؛ حيث قال: "الغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو **الفهم والإفهام**؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ــ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ــ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ــ دار الجيل للنشر ــ القاهرة ــ ط٥ ــ ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م ــ جـ١ ــ ص٢٤٣.

(٢) العمدة ــ جـ١ ــ ص ٢٤٥.

(٣) البيان والتبيين ــ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ــ تحقيق/ عبد السلام هارون ــ د.ط ــ د.ت ــ جـ١ ــ ص٨٨.

عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[١]، وهذا يشير إلى إدراكه قيمة الإقناع الذي ينطلق منه البيان، كما نقل قول صديقه الذي سأل العتابي عن ماهية البلاغة فقال: "كل من **أفهمك** حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ"[٢]، ويجعل **ابن الأثير** مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها[٣]، أما **حازم القرطاجني** فقد جعل الشعر مبني على التخييل أما الخطابة فمبنية على الإقناع، إلا أنه يرى أن المراوحة بين التخييل والإقناع مطلوبة في كليهما لاستمالة المتلقي؛ حيث يقول: "ولما كانت النفوس تحب الافتنان في مذاهب الكلام وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض، ليتجدد نشاطها بتجدد الكلام عليها، وكانت معاونة الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما يجدي في ذلك جدواه أدعى إلى تحصيلها من ترك المعاونة، كانت المراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية أعود براحة النفس، وأعون في تحصيل الغرض المقصود، فوجب أن يكون الشعر المراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه...وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر تابعة لأقاويل مخيلة، مناسبة لها في ما قصد بها من الأغراض"[٤]، فهو

---

(١) البيان والتبيين ــ جـ ــ ص ٧٦.

(٢) البيان والتبيين ــ جـ ــ ص ١١٣.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ــ ضياء الدين بن الأثير ــ دار نهضة مصر للطبع والنشر ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت ــ جـ٢ ــ ص٢٥٠ بتصرف.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ــ حازم القرطاجني ــ تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ ط٣ ــ ١٩٨٦م ــ ص ٣٦٢، وما بعدها.

يرى أنَّ المراوحة في الشعر بين التخييل والإقناع أدعى لقبول الشعر وأقدر على التأثير به.

استنادًا لما سبق يتضح أنَّ البلاغيين أدركوا القيمة الحجاجية للبلاغة لما لها من تأثير فعال في النفوس.

الحجاج عند المحدثين:

تباين مفهوم الحجاج عند الدارسين المعاصرين تبعًا لتباين الزوايا التي نظروا إليه منها، فمنهم من نظر إليه من زاوية البلاغة، ومنهم من نظر إليه من زاوية اللسانية، ومنهم من نظر إليه من زاوية الفلسفة، وهكذا، مما نتج عنه تعدد المفاهيم حول الحجاج، ومن أبرز هذه المفاهيم في العصر الحديث مفهوم **(تولمين)** الذي يرى أنَّ الحجاج "مجموعة من سلاسل مرتبطة ومتماسكة تتمثل في أدلة، وهذه الأدلة يجب أن تكون منطقية بالأساس لكي يفهمها العقل"(١)، فهو يعتمد على الأقيسة المنطقية في الحجاج، والحجاج عنده "ليس مجرد تتابع للقضايا، بل تفاعل بين الأطراف المسهمة في المحادثة"(٢)، فهو بذلك يركز على الجانب التفاعلي بين المرسِل، والمرسَل إليه.

وقد حدَّد كلٌّ من **(برلمان)**، و**(تيتيكاه)** مفهوم الحجاج بأنه "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"(٣)، فهما يهتمان بالجانب البلاغي ودوره في الإقناع، أو زيادة درجته؛ حيث يجعلان الحجاج مجموعة

---

(١) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه ــ كمال الزماني ــ عالم كتب الحديث ــ إربد ــ الأردن ــ ط١ ــ ٢٠١٢م ــ ص١٣٤، وما بعدها.

(٢) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ــ عبد الله صولة ــ دار الفارابي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط١ ــ ٢٠٠١م ــ ص٢٧.

(٣) الحجاج في القرآن ــ ص٢٧.

من الأساليب والتقنيات التي يتوصل بها إلى الإقناع أو زيادة درجته لدى المخاطب بحيث يترتب على هذا الإقناع اتخاذ إجراء معين، أو القيام بعمل ما.

بينما يرى كلٌّ من **(أوسكمبر)، و(ديكرو)** أنَّ "الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولا أو مجموعة أقوال يفضي إلى التسليم بقول آخر أو مجموعة أقوال أخرى"(١)، فاللغة عندهما هي أساس العملية الحجاجية وتحقيق الأهداف الحجاجية عندهما يكون من خلال الوسائل اللغوية.

ويعرِّف **(ميشال ماير)** الحجاج بأنه "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"(٢)، فهو ينظر إلى الحجاج من المنظور الفلسفي حيث يرى أن "الكلام يتضمن بالقوة سؤالا يستمد منه دلالته...فهو يوظف مفهومين أساسيين في عملية الحجاج هما (الضمني)، و(المصرح به)...فالمصرح به هو ظاهر السؤال وأما الضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد"(٣).

وعلى ضوء ما سبق يتضح أنَّ مفهوم الحجاج عند الباحثين المحدثين يتمحور في مجمله حول إقناع المرسَل إليه عن طريق بعض الوسائل، سواء أكانت لغوية، أو بلاغية، أو منطقية، أو غير ذلك من الوسائل واستمالة ذهنه وصولا به إلى تغيير معتقده تجاه مسألة ما مما ينتج عنه تغيير في السلوك أو اتخاذ إجراء معين.

---

(١) الحجاج في القرآن ــ ص٣٣.

(٢) الحجاج في القرآن ــ ص٣٧.

(٣) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ــ مقالة البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسألة لميشال ميار ــ محمد على القارصي ــ جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ــ تونس ــ د.ط ــ د.ت ــ ص٣٩٤، وما بعدها.

•علاقة الحجاج بالتداولية:

حتى نستطيع فهم العلاقة بين الحجاج والتداولية لابد أولا من فهم المعنى اللغوي والاصطلاحي للتداولية، ف"التداولية لغة من التداول، والتداول تفاعل، وكل تفاعل يلزمه طرفان على أقل تقدير: مرسل ومستقبل، متكلم وسامع أو مستمع، كاتب وقارئ، على معنى أن مدار اشتغال التداولية هو مقاصد وغايات متكلم، وكيف تبلغ مستمعًا أو متلقيًّا"(١).

أما في الاصطلاح فهي: "دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية، هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نتعلمها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية"(٢)، فالبعد التداولي يبحث في العلاقة بين ظاهر اللفظ ومقصوده.

وبالتأمل في مفهوم التداولية يمكن فهم العلاقة بينها وبين الحجاج، فالحجاج منبثق من التداولية، ومبحث من مباحثها إذ يتجاوز كلاهما المعنى الظاهر للغة، ويبحث عما وراء هذا المعنى وصولا إلى مقصود المتكلم، كما يشير كلاهما إلى علاقة تبادلية بين المرسِل والمرسَل إليه تهدف إلى مدى تأثير المرسِل في المرسَل إليه.

---

(١) تبسيط التداولية "من أفعل اللغة إلى بلاغة الخطاب الساسي" ــ بهاء الدين محمد مزيد ــ شمس للنشر ــ القاهرة ــ د.ط ــ ٢٠١٠م ــ ص١٨.

(٢) تبسيط التداولية ــ ص١٨.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

ثانيا: بين يدي قصيدة لامية العجم[1]: (من البحر البسيط)

أصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ ∴ وحِليةِ الفضلِ زانتني لَدَى العَطَلِ

مَجْدي أخيرًا ومَجْدي أولًا شَرَعُ ∴ والشمسُ رأْدَ الضُحَى كالشمسِ في الطَفَلِ

فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ لا سَكَني ∴ بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي

ناءٍ عن الأهلِ صِفرُ الكفِّ منفردُ ∴ كالسيفِ عُرِّي متناهُ من الخَلَلِ

فلا صديقَ إليه مشتكى حَزَني ∴ ولا أنيسَ إليه منتهى جَذَلي

طالَ اغترابي حتى حنَّ راحلتي ∴ ورحْلُها وقرَى العسَّالةِ الذُّبُلِ

وضجَّ من لَغبٍ نِضوي وعجَّ لما ∴ ألقى ركابي ولجَّ الركبُ في عَذَلي

أريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها ∴ على قضاءِ حقوقٍ للعلى قِبَلي

والدهرُ يعكسُ آمالي ويقنعني ∴ من الغنيمةِ بعدَ الكدِّ بالقَفَلِ

وذي شطاطٍ كصدرِ الرمحِ معتقلِ ∴ بمثلهِ غيرَ هيَّابٍ ولا وَكِلِ

حلوُ الفكاهةِ مرُّ الجِدِّ قد مُزجتْ ∴ بقسوةِ البأسِ فيه رِقَّةُ الغَزَلِ

طردتُ سرحَ الكَرَى عن وِرْدِ مقلتهِ ∴ والليلُ أغرَى سوامَ النومِ بالمُقَلِ

والركبُ ميلٌ على الأكوارِ من طَرَبٍ ∴ صاحٍ وآخرَ من خمرِ الكَرَى ثَمِلِ

فقلتُ أدعوكَ للجُلَّى لتنصرني ∴ وأنتَ تَخْذُلُني في الحادثِ الجَلَلِ

تنامُ عنِّي وعينُ النجمِ ساهرةٌ ∴ وتستحيلُ وصبغُ الليلِ لم يَحُلِ

فهلْ تُعينُ على غَيٍّ هممتُ بهِ ∴ والغَيُّ يزجرُ أحيانًا عن الفَشَلِ

إني أريدُ طروقَ الحيِّ من إضَمٍ ∴ وقد حَمَاهُ رماةٌ من بني ثُعَلِ

يحمونَ بالبيضِ والسمرِ اللدانِ بهم ∴ سُودَ الغدائرِ حُمْرَ الحَلي والحُلَلِ

---

(١) معجم الأدباء ــ ص ١١٠٧.

فسرْ بنا في زمامِ الليلِ معتسفًا ∴ فنفحةِ الطيبِ تهدينا إلى الحلَلِ
فالحبُّ حيثُ العدى والأسْدُ رابضَةٌ ∴ حولَ الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسَلِ
نؤُمُّ ناشئةً بالجزعِ قد سُقيتْ ∴ نِصَالها بمياه الغُنْجِ والكَحَلِ
قد زادَ طِيبَ أحاديثِ الكرامِ بها ∴ ما بالكرائمِ من جُبنٍ ومن بخلِ
تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كَبِدٍ ∴ حَرَّي ونارُ القِرى منهم على القُلَلِ
يقتلنَ أنضاءَ حبٍ لا حِراكَ بها ∴ وينحرونَ كرامَ الخيلِ والإبلِ
يشفى لديغُ الغَوَاني في بيوتهمُ ∴ بنهلةٍ من لذيذِ الخَمْرِ والعَسَلِ
لعلَّ إلمامةٌ بالجزعِ ثانيةً ∴ يدُبُّ فيها نسيمُ البرءِ في عِلَلا
أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شُفعتْ ∴ برشقةٍ من نبالِ الأعينِ النُجُلِ
ولا أهابُ الصفاحَ البيضَ تسعدني ∴ باللمحِ من خلل الأستارِ والكللِ
ولا أخلُّ بغزلانٍ تغازلني ∴ ولو دهتني أسودُ الغيلِ بالغيلِ
حبُّ السلامةِ يُثني همَّ صاحبِهِ ∴ عن المعالي ويُغري المرءَ بالكَسَلِ
فإنْ جنحتَ إليهِ فاتخذْ نفقًا ∴ في الأرضِ أو سُلَّمًا في الجوِ فاعتزلِ
ودعْ غمارَ العلا للمقدمينَ على ∴ ركوبِها واقتنعْ منهنَّ بالبَلَلِ
رضا الذليلُ بخفضِ العيشِ مسْكَنَةٌ ∴ والعزُّ تحت رسيمِ الأينُقِ الذُّلُلِ
فادرأْ بها في نحورِ البيدِ جافلةً ∴ معارضاتٍ مثاني اللُجمِ بالجُدَلِ
إنَّ العلا حدثتني وهي صادقةٌ ∴ في ما تحدثُ أنَّ العزَّ في النُقَلِ
لو أنَّ في شرفِ المأوى بلوغِ مُنَى ∴ لم تبرحِ الشمسُ يومًا دارةَ الحَمَلِ
أهبتُ بالحظِ لو ناديتُ مستمعًا ∴ والحظُ عنِّي بالجهالِ في شُغُلِ
لعله إنْ بَدَا فضلي ونقصُهُمُ ∴ لعينهِ نامَ عنهم أو تنبَّه لي

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

أعلِّـــل الـــنفسَ بالآمـــالِ أرقُبُهـــا ∴ مـــا أضيقَ العيشَ لـولا فسحةُ الأملِ

لم أرضَ بـــالعيشِ والأيـــامُ مقبلـــةٌ ∴ فكيـفَ أرضى وقـد ولَّـتْ علـى عَجَـلِ

غـــالي بنفســـي عِرفـــاني بقيمتِهـــا ∴ فصُـنْتُها عـن رخـيصِ القـدرِ مبتـذلِ

وعـــادةُ الســـيفِ أن يزهـــى بجـــوهرِهِ ∴ ولـــيسَ يعمـــلُ إلا في يـــدي بَطـــلِ

مـــا كنـــتُ أوثـــر أنْ يمتـــدَّ بـــي زمـــني ∴ حتـــى أرى دولـــةَ الأوغـــادِ والسُّـــفُلِ

تقـــدمتني أنـــاسٌ كـــان شـــوطهم ∴ وراءَ خطـــوِي لـــو أمشـــي علـــى مَهَـــلِ

هـــذا جـــزاءُ امـــرئٌ أقرانُـــهُ دَرَجُـــوا ∴ مـــن قبلِـــهِ فتمنَّـــى فُســـحةَ الأجـــلِ

وإنْ علانـــي مـــن دونـــي فـــلا عَجَـــبٌ ∴ لـــي أسـوةٌ بـانحطـاطِ الشـمسِ عـن زُحَـلِ

فاصـبرْ لهـا غـيرَ محتـالٍ ولا ضَـجِرٍ ∴ في حـادثِ الـدهرِ مـا يُغـني عـن الحِيَـلِ

أعـدى عـدوَّكَ أدنـى مـن وثقـتَ بـه ∴ فحـاذرْ النـاسَ واصـحبهم علـى دَخَـلِ

وإنمـــا رَجُـــلُ الـــدنيا وواحـــدُها ∴ مـــن لا يعـــوِّلُ في الـــدنيا علـــى رَجُـــلِ

وحســـنُ ظنُّـــكَ بـالأيـــامِ مَعْجَـــزَةٌ ∴ فظُـنَّ شـرًا وكـنْ منهـا علـى وَجَـلِ

غـاضَ الوفـاءُ وفـاضَ الغـدرُ وانفرجتْ ∴ مسـافةُ الخُلـفِ بـين القـولِ والعمـلِ

وشـانَ صـدقُكَ عنـد النـاسِ كِـذبهُمُ ∴ وهـــلْ يطـــابقُ معـــوَجٌّ بمعتـــدلِ؟

إنْ كـــان ينجـــعُ شـــيء في ثبـــاتِهُمُ ∴ علـى العهـودِ فسـبقُ السـيفِ للعَـذَلِ

يـــا واردًا ســـؤرَ عـــيشٍ كلـــهُ كَـــدَرٌ ∴ أنفقـــتَ صـــفوكَ في أيامـــكَ الأولِ

فـيمَ اقتحامُـكَ لجَّ البحـرِ تركبُـهُ ∴ وأنـتَ تكفيـكَ منـه مصَّـةَ الوَشَـلِ

مُلْـكُ القناعـةِ لا يخشـى عليـهِ ولا ∴ يحتـــاجُ فيـــه إلى الأنصـــارِ والخَـــوَلِ

ترجُـو البقـاءَ بـدارٍ لا ثَبـاتَ بهـا ∴ فهـلْ سمعـتَ بظـلٍّ غـيرِ منتقـلِ؟

ويـا خـبيرًا علـى الأسـرارِ مطلعـا ∴ اصمتْ ففي الصمتِ منجـاةٌ مـن الزلَـلِ

قــد رشــحوكَ لأمــرٍ إنْ فطنــتَ لــهُ ∴ فاربــأْ بنفســكَ أنْ ترعَــى مــع الهَمَــلِ
اقنــعْ تعــزُّ ولا تطمــعْ تــذلُّ ولا ∴ تكثــرْ تمــلُّ ولا تغــترَّ بالمُهَــلِ[1]

الناظر لهذه القصيدة للوهلة الأولى يتصور خلوها من الوحدة الموضوعية، وعدم تماسك النسيج البنائي لها؛ حيث تتعدد فيها الأغراض بين الحكمة والغزل والمدح والعتاب وغير ذلك من الأغراض التي جاءت في ثنايا القصيدة إلا أنه بالنظرة الفاحصة المتأنية تتضح الوحدة الموضوعية للقصيدة، كما يتضح إحكام نسيجها البنائي؛ حيث نجد حالة شعورية واحدة تسيطر على الشاعر من بداية القصيدة حتى نهايتها، ألا وهي إحساسه المرير بالغربة وحنينه إلى وطنه وأحبابه، وهذا هو الغرض الرئيس من القصيدة، وقد جاءت جميع الأغراض الأخرى التي ضمتها القصيدة لخدمة هذا الغرض؛ حيث اتخذ الشاعر من هذه الأغراض وسيلة للتأكيد على ذلك الإحساس الذي تملَّكه، فهو حين ينسج أبيات الحكمة فإنه يحاول بها أن يسلي نفسه ويصبرها على ما لاقته من مشاق أثناء الغربة، وحين يتغزل نجد اليأس من تحقيق السعادة المنشودة يغلف نسيبه مما يدعم إحساس الشاعر بعمق اليأس الذي يسيطر عليه في غربته، وحين يعاتب نجده يعاتب صاحبه على تخلِّيه عنه وقت الشدة في غربته مما يزيد من إحساسه المرير بالغربة ويزيده تمسُّكًا بفكرة الرجوع إلى وطنه وأحبته، وهكذا نجد رباطًا خفيًّا يوحِّد نسيج القصيدة، ويحكم بناءها من بدايتها حتى نهايتها، والشاعر إذ يبث شكواه من غربته ويظهر حنينه إلى وطنه فإنه يضع نفسه أمام المتلقي في موضع اتهام، ولوم؛ حيث إنه اختار الغربة عن طيب خاطر فلم يجبره عليها أحد، لذلك حاول الشاعر دفع هذه

(١) هذا البيت لم يُذكر في الديوان ولم يُشر إليه أحد من شراح اللامية، فلم يُذكرإلا في معجم الأدباء ــ ينظر معجم الأدباء ــ الهامش ــ ص ١١١٣.

التهمة باستخدام التقنيات الحجاجية التي ساعدته في الدفاع عن نفسه، وإقناع المتلقي ببراءته، مؤكدًا أنَّه حينما قصد الغربة إنما قصدها طالبا للعز، ولم يضع لخيبة الأمل التي لاحقته حسباناً؛ حيث حالت الدنيا بينه وبين تحقيق مراده مما نتج عنه ضيق نفسه بالغربة وحنينه الشديد لوطنه؛ وقد تنوَّعت هذه التقنيات بين تقنيات لغوية، وتداولية، وبلاغية، وأخرى إقناعية، كما سيتضح.

المبحث الأول

التقنيات الحجاجية اللغوية والتداولية للامية العجم

تتميز بعض الأساليب اللغوية كالتكرار والأساليب الانشائية وغيرها بقدرتها على تعزيز الكلام وتحقيق الغاية الإقناعية التي ينشدها المرسِل، مما جعلها إحدى التقنيات اللغوية التي من الممكن أن تقوم بدور حجاجي فعَّال، كذلك تعد الأدوات اللغوية من أهم التقنيات التداولية لما تحمل من دلالات خاصة تقوم بالربط بين الجمل لخدمة هدفٍ إقناعي، فهذه الأدوات اللغوية تعد روابطًا حجاجية يستطيع المتكلم من خلالها أن يرتِّب الحجج ويسلسلها بحيث يصل بها إلى النتيجة المطلوبة مما يضمن تحقيق العملية التواصلية بين المرسِل والمرسَل إليه.

أولا: **التقنيات الحجاجية اللغوية**:

إنَّ اختيار الشاعر لألفاظ بعينها وإيثاره بعض الأساليب دون أخرى لا يتم جزافًا وإنما يكون له غايته الحجاجية التي يعمد إليها الشاعر قصد إقناع المتلقي بما يحمله شعره من أفكار.

١- التكرار[(١)]:

يُعدُّ التكرار بنوعيه اللفظي والمعنوي أحد الروافد اللغوية الإقناعية الفعالة؛ حيث يساعد على الإفهام ويعين على ترسيخ الفكرة وتأكيدها لدى المتلقي مما كان له أثره في إقناعه وحمله على الإقرار والتسليم.

(١) التكرار هو "دلالة اللفظ على المعنى مرددًا" ينظر المثل السائر ــ جـ٣ ــ ص٣.

أ – التكرار اللفظي:

وفيه يعيد الشاعر الحجة مرة أخرى بلفظها في محاولة منه لتسليط الضوء عليها، "وإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها"(١)، مما يجعلها أقوى في التأكيد وإقناع المتلقي.

فهلْ تُعينُ على غَيٍّ هممتُ بهِ والغَيُّ يزجرُ أحيانًا عن الفَشَلِ

استخدم الطغرائي هنا أسلوب التكرار اللفظي الذي يتضح من قوله **(غي، الغي)** في سياق التحميس وإلهاب مشاعر صاحبه لما يعلم من أثره الفعال على الأسماع والأذهان، متخذًا من هذا التكرار حجَّة يستدل بها على عظم الأمر الذي قرَّر الإقدام عليه، وما يصحب ذلك من احتياجه الشديد لصديق مخلص يقف بجانبه.

كذلك من المواضع التي قام فيها التكرار بدور حجاجي قول الطغرائي:

أهبتُ بالحظِ لو ناديتُ مستمعًا والحظُ عنِّي بالجهالِ في شُغُلِ

يبرز التكرار اللفظي هنا في كلمة **(الحظ)** حيث ذكرها الطغرائي مرتين مما أضفى بعدًا حجاجيًّا قويًّا استطاع من خلاله أن يستميل ذهن المخاطب ويقنعه أنَّ ما أصابه في سفره من صعوبات ومشاق ليس بتقصير منه، وإنما لأن الحظ لم يكن حليفه، كما يعكس ما في نفسه من مرارة.

كما برز التكرار كتقنية من تقنيات الاستمالة في قول الطغرائي:

وإنما رَجُلُ الدنيا وواحدُها من لا يعوِّلُ في الدنيا على رَجُلِ

الطغرائي هنا يعرض رأيًا له أوصلته إليه كثرة التجارب وتنوع الخبرات، وهو أنَّ الرجل الحق من يغتني بنفسه ولا يفتقر لأحد، وقد اتخذ من

(١) في نظرية الحجاج ــ ص٣٥.

التكرار اللفظي بين (**رجل رجل**)، (**الدنيا الدنيا**) حجَّة يستدل من خلالها على صحة رأيه.

أيضًا يظهر التكرار كوسيلة من الوسائل اللغوية الحجاجية في قول الطغرائي:

ويا خبيرًا على الأسرارِ مطلعا اصمتْ ففي الصمتِ منجاةٌ من الزلَلِ

الطغرائي هنا ينصح من أراد النجاة من شرور الدنيا بأن يلزم الصمت، وقد عمد إلى التكرار اللفظي في قوله (**اصمت ــ الصمت**) للتأكيد على أنَّ النجاة تكمن في الصمت، ولا يخفى نا تحمله وصياغة فعل الأمر في قوه (**اصمت**) من الحزم والجزم بفعل الشيء.

ب التكرار المعنوي:

وفيه يعيد الشاعر الحجة بمعناها لا بلفظها، مما يزيد من طاقة الكلام الحجاجية، ويعمل على سرعة إقناع المتلقي.

فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ لا سَكَني ∴ بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي

ناءٍ عن الأهلِ صِفرُ الكفِّ منفردُ ∴ كالسيفِ عُرِّي متناهُ من الخَلَلِ

فلا صديقَ إليه مشتكى حَزَني ∴ ولا أنيسَ إليه منتهى جَذَلي

طالَ اغترابي حتى حنَّ راحلتي ∴ ورحْلُها وقرَى العسَّالةِ الذُّبُلِ[1]

وضجَّ من لَغبٍ نِضوي وعجَّ لما ∴ ألقى ركابي ولجَّ الركبُ في عَذَلي

(١) وخلو الفعل (حنَّ) هنا من تاء التأنيث رغم أن الفاعل مؤنث (راحلتي) يمكن حمله على أن المراد بالراحلة الجمل، أي حنَّ جملي، أو يكون حذفها هنا لضرورة شعرية.

يبث الطغرائي هنا شكواه، ويعدد أسباب ما تَمَلَّكه من إحساس شديد بالغربة وضيق النفس بالزوراء، مستخدمًا التكرار المعنوي بين قوله **(صديق أنيس)**، وقوله **(ضج – عج)**[١] مستدلًا به على رغبته المُلِحَّة في الرحيل.

وعلى ضوء ما سبق تتضح قدرة الطغرائي في توظيف التكرار بنوعيه (اللفظي، والمعنوي) في التركيز على الفكرة المقصود إيصالها للمتلقي مما كان له دوره في تقوية الحجاج.

٢- الأساليب الإنشائية الطلبية[٢]:

تتميز الأساليب الإنشائية وخاصة الطلبية من استفهام، وأمر، ونهي، ونداء، وتمني بكونها من الآليات اللغوية التوجيهية؛ حيث يتم من خلالها توجيه المتلقي للقيام بنشاط ما، فضلا عما تتميز به من إثارة المتلقي وجذب انتباهه، وهذا يجعلها أدعى لاستمالة المتلقي وتوجيه سلوكه، لذا فإنها تحمل طاقة حجاجية قوية، ولنرى كيف أثرى الطغرائي لاميته ببعض الأساليب الإنشائية الطلبية كالاستفهام، والأمر.

أ – الاستفهام[٣]:

يُعدُّ الاستفهام أحد الوسائل الحجاجية المهمة لما يحمله من طاقة إقناعية هائلة؛ حيث يحمل المتلقي على إعمال عقله للوصول إلى الإقرار والاستسلام

---

(١) "ضج، وعج كلاهما بمعنى: صاح" ينظر شرح لامية العجم للطغرائي ــ الإمام جلال الدين السيوطي ــ دققها/ أحمد علي حسن ــ مكتبة الآداب ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت ــ ص٦.

(٢) "الإنشاء الطلبي هو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب" ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان ــ السيد أحمد الهاشمي ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت ــ ص٧٠.

(٣) "الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته" ينظر جواهر البلاغة ــ ص٧٨.

لقبول الفكرة المطروحة، وقد استعان به الشاعر في إقناع المتلقي في مواضع عديدة منها قوله:

فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ لا سكَني بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي

فقد استخدم الطغرائي هنا أسلوب الاستفهام في قوله **(فيمَ الإقامة؟)** محتجا به على انقطاع جميع الأسباب التي من الممكن أن تجعله يقيم بالزوراء، وقوله **(ولا ناقتي فيها ولا جملي)**، إشارة إلى المثل العربي "**لا ناقتي فيها ولا جملي**"(١) وهو مثل عربي قديم يضرب لعدم الارتباط بالشيء.

أيضًا مما أثرى الحجاج في لامية العجم استخدام أسلوب الاستفهام في قول الطغرائي:

فقلتُ أدعوكَ للجُلَّى لتنصرني ∴ وأنتَ تَخْذُلُني في الحادثِ الجَلَلِ

تنامُ عنِّي وعينُ النجمِ ساهرةٌ ∴ وتستحيلُ وصبغُ الليلِ لم يَحُلِ

فهلْ تُعينُ على غَيٍّ هممتُ بهِ ∴ والغَيُّ يزجرُ أحيانًا عن الفَشَلِ

فالطغرائي هنا يوجه توبيخًا لصاحبه وعتابًا على تخليه عنه في وقت الشدة، محاولا ترغيبه في إعانته على الغي الذي قرَّر الإقدام عليه "وهو طروق الحي والنزول على إضم ليلا"(٢)، وهو في سبيل ذلك قام بحشد العديد من أساليب الاستفهام، كقوله: **(أدعوك؟)**، وهو محذوف الأداة، والتقدير (أأدعوك؟)، وقوله: **(تنام عنى؟)**، وهو محذوف الأداة أيضًا، والتقدير (أتنام عني؟)، وقوله **(فهل تعين؟)**، مستخدمًا إياها كتقنيات حجاجية حاول من خلالها استمالة المخاطب وإقناعه، وتظهر المقدرة الإبداعية لشاعرنا في

(١) مجمع الأمثال ــ أبو الفضل الميداني ــ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ــ مطبعة السنة المحمدية ــ د.ط ــ د.ت ــ جـ٢ ــ ص٢٢٠.

(٢) المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ ص١٦٦.

المزاوجة بين الجمل الفعلية والاسمية؛ حيث جسَّد الشاعر عن طريق الجمل الفعلية حال صاحبه معه، فقد أشار الفعل المضارع **(أدعوكَ)** بما يفيده من التجدد والحدوث إلى محاولات الشاعر المتكررة في الاستعانة بصاحبه، كما يشير الفعلان المضارعان **(تنام ــ تستحيل)** إلى تخلي هذا الصاحب عنه في كل مرة، بينما رسَّخت الجمل الاسمية ما يعانيه الشاعر من الأسى، يتضح ذلك من قوله **(أنتَ تخذلني ــ عينُ النجم ساهرةٌ ــ صبغُ الليل لم يحلِ)**.

كذلك عمد الشاعر إلى أسلوب الاستفهام كتقنية من تقنيات الاستمالة في قوله:

لم أرضَ بالعيشِ والأيامُ مقبلةٌ فكيفَ أرضى وقد ولَّتْ على عَجَلِ

فالطغرائي ضمَّن هذا البيت بعدًا حجاجيًّا عن طريق أسلوب الاستفهام؛ حيث أكد من خلاله رفضه للعيش وليس المقصود من العيش هنا الحياة بعامة، إنما المقصود بُلهنية العيش أو العيش الرغيد وهو في مقتبل عمره، فليس من المعقول أن يطلب العيش وهو في شيخوخته.

كذلك يتجلى الحجاج كتقنية من تقنيات الحجاج في قول الطغرائي:

وشانَ صدقُكَ عند الناسِ كِذبهُمُ وهلْ يطابقُ معوَجٌّ بمعتدلِ؟

الطغرائي وإن ظهر هنا أنه يخاطب صاحبه إلا أنه في حقيقة الأمر يخاطب نفسه؛ حيث عمد إلى أسلوب التجريد مبينًا السبب في نفور الناس منه واعتزالهم له، مبررًا ذلك بتمسكه بالصدق في الوقت الذي عمَّ فيه الكذب وانتشر، وقد عمد الشاعر إلى الاستفهام متخذًا منه حجة بالغة يستدل بها على كلامه تتمثل في قوله **(وهل يطابق معوج بمعتدل؟)**، وقد أوضح من خلاله المفارقة بينه وبين الناس فعبر عن الناس بالمعوج، وعن نفسه بالمستقيم.

كما أضفى الطغرائي بعدًا حجاجيًّا قويًّا على لاميته من خلال أسلوب الاستفهام الذي ظهر في قوله:

فيمَ اقتحامُكَ لجَّ البحرِ تركبُهُ ∴ وأنتَ تكفيكَ منه مصَّةَ الوَشَلِ

مُلْكُ القناعةِ لا يخشى عليهِ ولا ∴ يحتاجُ فيه إلى الأنصارِ والخَوَلِ

ترجُو البقاءَ بدارٍ لا ثُباتَ بها ∴ فهلْ سمعتَ بظلٍّ غيرِ منتقلِ؟

الطغرائي هنا وإن كان يخاطب نفسه، إلا أنه في واقع الأمر يخاطب الإنسان بشكل عام ويطرح إشكالين مهمين، يحاول من خلالهما أن يسكِّن ألمه ويخفف من جزعه، ويقنع نفسه بتقبل واقعه المرير، يتمثل أحد هذين الإشكالين في الحرص على الدنيا والصراع من أجلها، بينما يكمن الآخر في حبِّ البقاء والخلود الذي هو غريزة في كل إنسان، ثم هو يطرح سؤالا للإشكال الأول وسؤالين للإشكال الثاني يحاول من خلالهم تغيير موقف المتلقي، وإقناعه بالفكرة التي طرحها الشاعر، يتمثل السؤال الأول في قوله: **(فيمَ اقتحامكَ لج البحر تركبه وأنتَ تكفيكَ منه مصة الوشل؟)** والشاعر لا يريد جوابًا من المخاطب، وإنما يريد حمله على الإذعان والتسليم بأنه لا داعي للحرص على الدنيا والصراع من أجلها وخوض المتاعب والصعاب في الوقت الذي يمكننا أن نكتفي ونقنع منها بالقليل، أما الإشكال الثاني فقد طرحه من خلال سؤالين، يكمن الأول منهما في قوله: **(ترجو البقاء بدار لا ثبات بها؟)**، وهو محذوف الأداة والتقدير (أترجو البقاء...؟)، وهو يستنكر فيه على المخاطب طمعه في العيش بدار فانية لا دوام فيها، ويتمثل الاستفهام الثاني في قوله: **(فهل سمعت بظل غير منتقل؟)** وهو استفهام إنكاري أيضًا، وضح الشاعر من خلاله أنَّ الحياة مثلها مثل الظل المتحرك دائما الذي لا يستقر أبدا، والشاعر يقدِّم من خلال هذين الاستفهامين الدليل والبرهان الذي يحمل

المتلقي على الإقرار بأنَّ الدنيا دار فناء دائمة التغير والتحول، فلا معنى لرجاء الإنسان الخلود فيها، ولا شك أنَّ الاستفهام هنا كان له دوره الحجاجي الفعال في إقناع المتلقي، وإقراره بصدق الفكرة التي طرحها الشاعر.

ب الأمر(١):

يحمل فعل الأمر طاقة حجاجية قوية تجعله قادرًا على إحداث ما ينشد المتكلم تحقيقه في المتلقي بما يحمله من حض وتوجيه إلى القيام بأفعال معينة، فتأتي أفعال الأمر في صورة حجج يحاول المتكلم من خلالها أن يؤثر في المتلقي وينقل شعوره إليه مما يجعله يذعن لإرادته دون تردد أو تفكير، ولنرى كيف اتخذ الطغرائي من فعل الأمر وسيلة للتأثير على المتلقي وإقناعه، ويتجلى ذلك في الكثير من الأبيات، ومنها قوله:

فإنْ جنحتَ إليهِ فاتخذْ نفقًا ∴ في الأرضِ أو سُلَّمًا في الجوِ فاعتزلِ

ودعْ غمارَ العلا للمقدمينَ على ∴ ركوبِها واقتنعْ منهنَّ بالبَلَلِ

رضا الذليلُ بخفضِ العيشِ مسْكَنَةٌ ∴ والعزُّ تحت رسيمِ الأينُقِ الذُّلُلِ

فادرأْ بها في نحورِ البيدِ جافلةً ∴ معارضاتٍ مثاني اللُجمِ بالجُدَلِ

فالشاعر هنا يخاطب صاحبه في محاولة لتقوية عزمه وحضه على المغامرة وخوض الصعاب في سبيل الوصول إلى العلا، ونراه يحشد العديد من أفعال الأمر التي تتمثل في قوله **(اتخذْ ــ اعتزلْ ــ دعْ ــ اقتنعْ ــ ادرأْ)** هذه الأفعال التي طبعت أبياته بالطابع الازدواجي التفاعلي بين المتكلم والمخاطب مما كان له قيمة حجاجية فعالة في التأثير على المخاطب وحمله على الامتثال لإرادة المتكلم.

---

(١) الأمر: هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء ــ ينظر جواهر البلاغة ــ ص٧١.

كذلك من المواضع التي قام فيها فعل الأمر بوظيفة إقناعية، قول الطغرائي:

فاصبرْ لها غيرَ محتالٍ ولا ضَجِرٍ ∴ في حادثِ الدهرِ ما يُغني عن الحِيَلِ

أعدى عدوَّكَ أدنى من وثقتَ به ∴ فحاذرْ الناسَ واصحبهم على دَخَلِ

وإنما رَجُلُ الدنيا وواحدُها ∴ من لا يعوِّلُ في الدنيا على رَجُلِ

وحسنُ ظنُّكَ بالأيامِ مَعْجَزَةٌ ∴ فظُنَّ شرًا وكنْ منها على وَجَلِ

الشاعر هنا يوجه النصح والإرشاد للمتلقي بأن يصبر على نوائب الدهر، ويطلب من المخاطب أن يأخذ حذره من الناس وأن يقلل من صحبتهم، وأن يكون ظنه في الأيام شرًا؛ حيث يرى أنَّ حسن الظن مَعْجَزَة، أي أنه يجلب العجز والضعف، وقد وظف الشاعر أسلوب الأمر في قوله **(اصبر حاذر ــ ظن ــ كن)** بما يحمله من طابع تفاعلي بين المتكلم والمخاطب لخدمة الحجاج؛ حيث وجه المتلقي من خلاله إلى القيام بسلوك محدد، مما أكسب الأبيات طاقة حجاجية عالية.

كما يتجلى توظيف الشاعر لأسلوب الأمر لتقوية الحجاج في قوله:

ويا خبيرًا على الأسرارِ مطلعًا اصمتْ ففي الصمتِ منجاةٌ من الزللِ

قد رشحوك لأمر إن فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

يبرز أسلوب الأمر في قوله **(اصمت ــ اربأ)** وقد وجَّه الشاعر من خلاله النصح والإرشاد للمتلقي بأن يلزم الصمت إذا أراد النجاة من الدنيا، وأن يترفع بنفسه عن مواضع الذل، وقد ساعد أسلوب الأمر بما يتميز به من توجيه مباشر للمخاطب لإنجاز نشاط محدد على شحن الأبيات بطاقة حجاجية قوية مما كان له أثره في إقناع المتلقي وتغيير سلوكه.

وهكذا أثرى الطغرائي لاميته ببعض الأساليب الإنشائية الطلبية مما كان له أثره في استمالة المتلقي وتوجيه سلوكه وحمله على الاقتناع بأفكاره.

ثانيا: التقنيات الحجاجية التداولية للامية العجم:

تعد الروابط الحجاجية من أهم التقنيات التداولية التي تتميز بكونها رافدًا مهمًّا للحجاج؛ حيث تساعد الشاعر على إقناع المتلقي بأفكاره وتعينه على حمله على التسليم والإذعان له، فإن استطاع الشاعر من خلال هذه الروابط أن يرتب الحجج ويسلسلها بحيث يصل بها إلى النتيجة المطلوبة، يكون قد استطاع إنجاز سلم حجاجي، إذ إنَّ السلم الحجاجي "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية"(١)، وقد ربط **(ديكرو)** بين التوجيه الحجاجي والسلم الحجاجي؛ حيث جعل التوجيه الحجاجي يمر ب"بمراحل يخضع لها الملفوظ عبر تقوية العامل لمداه وطاقته الحجاجية...فالحجاج توجيه يكون بواسطة العوامل التي تقوي الملفوظ ليأخذ درجة من السلم"(٢)، ولنرى كيف استخدم شاعرنا الكثير من الروابط الحجاجية التي أعانته على إنجاز سلالم حجاجية كان لها دورها الفعال في إقناع المتلقي وإذعانه بالفكرة.

الروابط الحجاجية وأثرها في إنجاز سلالم حجاجية:

الروابط الحجاجية هي أدوات لغوية لها دلالات خاصة تقوم بالربط بين الجمل لخدمة هدف إقناعي، وتقوم هذه الروابط بدور مهم في تقوية الملفوظ الحجاجي وتماسكه وترتيبه، وليس هذا فحسب، بل إنَّ الروابط الحجاجية ترسم للملفوظ الحجاجي "صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقطعه للوصول إلى

---

(١) اللسان والميزان ــ ص ٢٧٧.

(٢) العوامل الحجاجية في اللغة العربية ــ عز الدين الناجح ــ مكتبة علاء الدين للنشر ــ تونس ــ ط١ ــ ٢٠١١م ــ ص١٢٢.

النتيجة وهو في أثناء ذلك كله يقوِّي النتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها"[١]، ولننظر إلى مدى توفيق الطغرائي في توظيف العديد من الروابط الحجاجية لتقوية الملفوظ الحجاجي لنصه، وكيف استطاع خلق سلالم حجاجية من خلالها، ومن ذلك:

(الواو): وهي حرف عطف يفيد الاشراك والجمع بين الشيئين، "ويستعمل حجاجيا بوصفه رابطا عاطفيا على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعضها الآخر"[٢]، وقد وجهها الطغرائي وجهة حجاجية مستطيعًا إنجاز بعض السلالم الحجاجية من خلالها، وذلك في قوله:

حبُّ السلامةِ يُثني همَّ صاحبِهِ ∴ عن المعالي ويُغري المرءَ بالكَسَلِ

ودعْ غمارَ العلا للمقدمينَ على ∴ ركوبِها واقتنعْ منهنَّ بالبَلَلِ

رضا الذليلُ بخفضِ العيشِ مسْكَنَةٌ ∴ والعزُّ تحت رسيمِ الأينُقِ الذُّلُلِ

فهذه الأبيات الثلاثة التي ربطت الواو بين أجزائها جاءت متسلسلة ومرتبة مما جعلها تحقق سلَّما حُجاجيًّا، وقد جاء البيتان الأولان معطى أو حجة، بينما مثَّل البيت الثالث نتيجة، وذلك على النحو الآتي: (ح = حُجَّة ، ن = نتيجة)

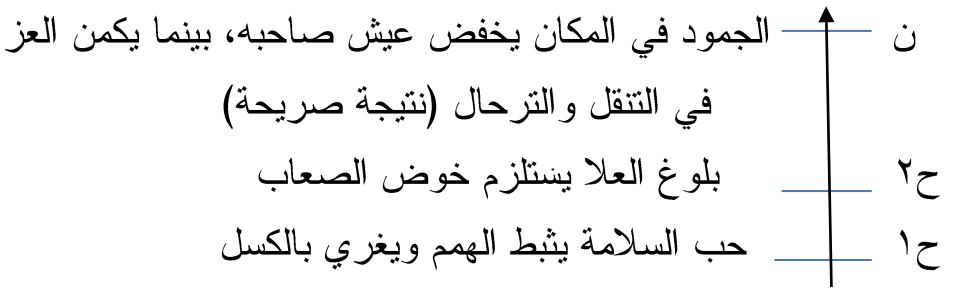

(١) العوامل الحجاجية في اللغة العربية ــ ص ١٣٤.

(٢) رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية ــ رائد مجيد جبار ــ مؤسسة علوم نهج البلاغة ــ العراق ــ ط١ ــ ١٤٣٨هـ ــ ٢٠١٧م ــ ص ١٤٤.

وثمة موضع آخر وظف الشاعر فيه (**الواو**) لتقوية الحجاج وقد أسهمت في سُلَّميَّة الحجاج، وذلك في قوله:

غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ مسافةُ الخُلفِ بين القولِ والعملِ

وشانَ صدقُكَ عنـــــد الناسِ كِذبهُمُ وهلْ يطـــابقُ معوَجٌّ بمعتدلِ؟

فقد وظف الشاعر هنا الواو في رسم صورة لتجرد الناس من الأخـــلاق وتمسكه وحده بها وصولا إلى إقناع المتلقي بعدم وجود وفـــاق بينـــه وبـــين الناس، وقد أسهم هذا الرابط في خلق سلم حجاجي على النحو الآتي:

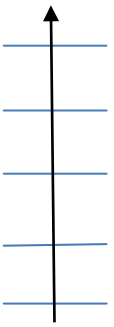

ن عدم وجود وفاق بين الشاعر وبين الناس(نتيجة ضمنية)

ح٤ نفور الناس من الصادق

ح٣ مخالفة الناس بين القول والفعل

ح٢ كثرة الغدر بين الناس

ح١ قلة الوفاء بين الناس

كذلك من الروابط الحجاجية التي أثرَتْ لامية العجم:

(**أو**): وهي حرف عطف، وله الكثير من المعاني منها "الشك والإيهـــام والتخيير والتفسير..."[١]، ويتجلى هذا الرابط في قول الشاعر:

أهبتُ بالحظِ لو ناديتُ مستمعًا والحظُ عنِّي بالجهالِ في شُغُلِ

لعله إنْ بَدَا فضلي ونقصُهُمُ لعينهِ نامَ عنهـــم أو تنبَّه لي

فالطغرائي هنا يظهر شكواه من قلة حظه؛ حيث لم يلاق من أسفاره ما كان يتوقع من وفرة الخير، فلم ينله منها غير المشقة وضيق الحال، والبعـــد عن وطنه وأهله وخلانه، ويبرر لذلك بانشغال الحظ عنه بالجهال، ثـــم هـــو

(١) الجنى الداني ــ الحسن بن قاسم المرادي ــ تحقيق/ فجر الدين قباوة، محمد نديم فاضل ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط١ ــ ١٤١٣هـــ ــ ١٩٩٢م ــ ص ٢٢٨.

يواسي نفسه بمناداة حظه لعله يترك ملازمة هؤلاء الجهال، أو يلتفت إليه واستخدام الشاعر **(أو)** في البيت الثاني دلالة على استعداده لقبول أي من الأمرين، وقد استطاع من خلال هذا الرابط ترتيب الحجج وصولا إلى النتيجة المقصودة والتي فهمت ضمنيا من سياق الكلام، ويمكن تصوُّر السلم الحجاجي على النحو الآتي:

ن استعداد الشاعر لقبول أي من الأمرين(نتيجة ضمنية)
ح٣ التفات الحظ إليه
ح٢ غضّ الطرف عن الجهال
ح١ تمني ظهور فضله ونقص الجهال

ومن الروابط الحجاجية التي أكسبت الحجاج في لامية العجم قوة وتأثيرًا في المتلقي:

(الفاء): "ومعناها التعقيب، فإذا قلت: قام زيد فعمرو، دلت على أنَّ قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة"(١)، فهي تفيد ترتيب الحجج وربط النتائج بالمقدمات، وهي من حروف العطف التي تضطلع بوظيفة حجاجية إذ تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير فهي أداة استنتاجية في الخطاب الحجاجي التداولي ومن ثم فهي تجمع بين قضيتين غير متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الأحداث فضلا عن الدلالة على الترتيب والاتصال، وأكثر ورودها كون ما بعدها أو المعطوف بها متسببا عما قبله"(٢)، وقد استخدم الطعرائي هذا الرابط في الكثير من أبياته ومنه قوله:

فإنْ جنحتَ إليهِ فاتخذْ نفقًا في الأرضِ أو سُلَّمًا في الجوِ فاعتزلِ

(١) الجنى الداني ــ ص٦١.

(٢) رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية ــ ص ١٤٦، وما بعدها.

فالطغرائي هنا يخاطب صاحبه الذي أراد تحقيق السلامة بين الناس مبيناً له أنَّ السبيل إلى ذلك يكون إما باتخاذ نفق في الأرض، أو سلم في الجو، مما يعني استحالة تحقيق السلامة بين الناس، وقد وظف (**الفاء**) هنا للترتيب بين الحجج وصولا إلى النتيجة المقصودة، مما أنجز سلمًا حجاجيًّا، بيد أنَّ النتيجة هنا جاءت ضمنية لم يصرِّح بها الشاعر، ويمكن تصوُّر ذلك على النحو الآتي:

ن ← استحالة السلامة بين الناس (نتيجة ضمنية)
ح٢ ← إتخاذ نفق في الأرض أو سلم في الجو
ح١ ← إرادة تحقيق السلامة

وثمة موضع آخر استطاع الشاعر فيه توظيف (**الفاء**) لخدمة مقصوده، وذلك في قوله:

غالي بنفسي عِرفاني بقيمتِها فصُنْتُها عن رخيصِ القدرِ مبتذلِ

فالشاعر هنا أراد أن يصبر نفسه ويخفف من وطأة الحياة الشاقة التي يحياها متخذا من اعتزازه بنفسه سببا لهذه الحياة حيث جعله يترفع عن الكثير من الأشياء مما أدى به إلى هذا المآل، وقد استطاع توظيف (**الفاء**) للترتيب بين الحجج، وصولا بها إلى نتيجة ضمنية يفهمها المتلقي من السياق مما ساعد في تحقيق سلم حجاجي أكسب الكلام طاقة حجاجية قوية، وذلك على النحو الآتي:

ن ← صعوبة الحياة ومشقتها (نتيجة ضمنية)
ح٢ ← صون نفسه عما يبتذلها
ح١ ← اعتزاز الشاعر بنفسه

كذلك استعمل الشاعر (**الفاء**) لخدمة نصه الحجاجي في قوله:

أعدى عدوَّكَ أدنى من وثقتَ به فحاذرْ الناسَ واصحبهم على دَخَلِ

فالشاعر هنا وظف **(الفاء)** في توجيه المتلقي إلى ضرورة الحذر من الناس وقلة الاختلاط بهم، لما قد يترتب على ذلك من ظلم الناس وغدرهم، وقد ساعده هذا الرابط في تحقيق سلم حجاجي مما كان له دوره الفعال في إقناع المتلقي، ويمكن توضيح هذا السلم الحجاجي على النحو الآتي:

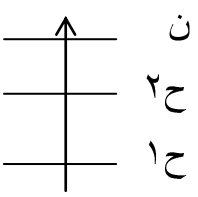

أيضا من المواضع التي يتجلى فيها الرابط الحجاجي **(الفاء)** قول الشاعر:

وحسنُ ظنُّكَ بالأيامِ مَعْجَزَةٌ فظُنَّ شرًا وكنْ منها على وَجَلِ

الشاعر هنا أراد أن يحذر من تقلب الدنيا وغدرها،إلا أنه لم يوجه المتلقي إلى مقصوده هذا بطريقة مباشرة، وإنما رتب الحجج وصولا إلى هذه النتيجة، وساعده على ذلك**(الفاء)** التي تفيد الترتيب والتعقيب، وقد استطاع من خلالها خلق سلم حجاجي ساعده في الوصول إلى مراده، وذلك على النحو الآتي:

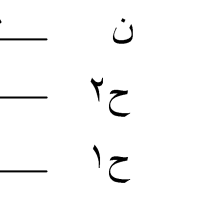

كذلك استخدم الشاعر **(الفاء)** لخدمة الحجاج في قوله:

ويا خبيرًا على الأسرارِ مطلعا اصمتْ ففي الصمتِ منجاةٌ من الزلَلِ

فقد ساعد الرابط هنا **(الفاء)** في خلق علاقة حجاجية بين مراد الشاعر وحجته، حيث رتب الشاعر من خلالها بين حجته وهي أن يلزم الإنسان

الصمت، والنتيجة المترتبه على ذلك، وهي النجاة من الوقوع في الزلل، ممـــا كان له أثره في إقناع المتلقي بمقصوده.

ن الصمت ينجِّي صاحبه من الوقوع في الزلل (نتيجة صريحة)

ح١ من الحكمة أن يلزم الإنسان الصمت

كذلك من الروابط الحجاجية التي خدمت الحجاج في لامية العجم:

- **(حتى):**

ومعناها "انتهاء الغاية"[١]، و"الحجة التي ترد بعد **(حتـــى)** هي الأقوى... لذلك فإن القول المشتمل على الأداة **(حتـــى)** لا يقبـــل الإبطـــال والتعـــارض الحجاجي"[٢]، وقد استخدمها الطغرائي في قوله:

طالَ اغترابي حتى حنَّ راحلتي ورحْلُها وقرَى العسَّالةِ الذُّبُلِ

فالشاعر أراد أن يعبر عن بلوغ شوقه وحنينـــه إلـــى وطنـــه منتهـــاه، فاستخدم حتى مستدلا بها على ذلك؛ لأنَّ معناها انتهاء الغاية، وقـــد اســـتطاع الشاعر إنجاز سلم حجاجي من خلال هذا الرابط، وذلك على النحو الآتي:

ن بلوغ شوقه وحنينه إلى وطنه منتهاه (نتيجة ضمنية)

ح٢ حنين الرحل والراحلة

ح١ طول الغربة

وقد تستعمل **(حتى)** للتعليل والسببية أي أنَّ ما قبلها يكون سببا لما بعدها ومنه قول الطغرائي:

ما كنتُ أوثر أنْ يمتدَّ بي زمني حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسُّفُلِ

---

(١) الجنى الداني ــ ص ٥٤٢.

(٢) الحجاج واللغة ــ أبو بكر العزاوي ــ العمدة فـــي الطبـــع ــ الـــدار البيضـــاء ــ ط١ ــ ١٤٢٦هـــ ــ ٢٠٠٦م ــ ص ٧٣.

فالشاعر يعلل لعدم تفضيله امتداد الزمان به، وطول عمره، بأنَّ ذلك تسبَّب له في رؤية الأوغاد والسُّفُل وهم ينالون من الحظ الوفير في الوقت الذي يعاني فيه الشاعر من ضيق الحال وسوء الحظ، وقد استطاع الشاعر توظيف **(حتى)** التي تفيد السببية هنا لتحقيق سلم حجاجي مما كان له دوره الفعال في إقناع المتلقي، وذلك كالآتي:

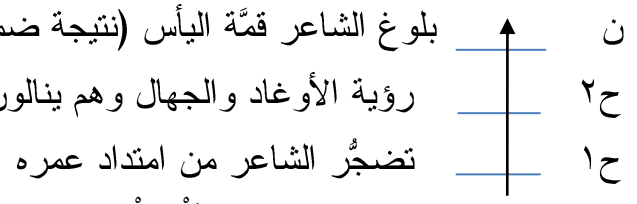

كذلك من الروابط الحجاجية التي أثْرَتْ الحجاج في لامية العجم:

(لا النافية): وقد وظفها الشاعر في بعض المواضع، ومنها قوله:

فلا صديقَ إليه مشتكى حَزَنِي ولا أنيسَ إليه منتهى جَذَلِي

فقد وظف الطغرائي لا النافية مؤكدًا من خلالها إحساسه المرير بالغربة وإصراره الشديد على الرحيل، وقد استطاع الشاعر إنجاز السلم الحجاجي من خلالها حيث رتب بعض الحجج وصولا إلى النتيجة التي أراد إقناع المتلقي بها، وإن كانت النتيجة هنا ضمنية لم يصرح بها الشاعر، وذلك على النحو الآتي:

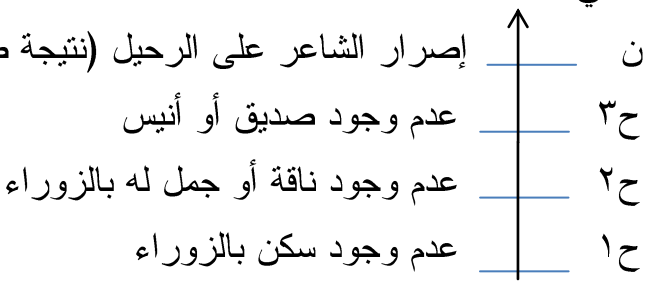

فالشاعر لم يعبر عن فكرته وهي إصراره على الرحيل، تعبيرًا مباشرًا، وإنما ساق بعض الحجج في تسلسل وترتيب مما جعل المتلقي يسلِّم بهـا دون تردد أو تفكير.

وثمة موضع آخر استطاع الشاعر فيه توظيف لا النافية، وذلـك فـي قوله:

لا أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شُفعتْ برشقةٍ من نبالِ الأعينِ النُجُلِ
ولا أهابُ الصفاحَ البيضَ تسعدني باللمحِ من خلل الأستارِ والكللِ
ولا أخلُّ بغزلانٍ تغـازلني ولـو دهتني أسودُ الغيلِ بالغيلِ

هذه الأبيات جاءت ضمن مقطوعة غزليـة، وفيهـا يُظهـر الشـاعر شجاعته، نافيًا عن نفسه صفات الجبن والخوف والخذلان، وقد اتخـذ مـن لا النافية هنا رابطًا قويًّا ربط به بين أواصر الـنص وسـاعده علـى التـرابط والتلاحم بين أجزائه، كما استطاع أن يحقق من خلاله سلمًا حجاجيًّا وصـولًا إلى النتيجة التي أراد أن يقنع المتلقي بها، وذلك على النحو الآتي:

ن ← إظهار شجاعته ونفي الجبن والخوف والخذلان عن نفسه (نتيجة ضمنية)
ح٣ ← لا أخل بغزلان حتى لو دفعت الثمن حياتي
ح٢ ← لا أخاف السيف
ح١ ← لا أكره الطعنة

وهكذا تتضح قدرة الشاعر على توظيف بعض الروابط اللغوية وتوجيهها وجهة حجاجية مستطيعًا إنجاز سلالم حجاجية من خلالها، مما ساعد في تحقيق علاقة حجاجية قوية بين مقصود الشاعر وحجته، فضلا عن أثرها الفعال في تماسك الحجج وتعاضدها، ووحدة النص بأكمله.

ولم تقتصر مهارة الشاعر على استخدام التقنيات اللغوية وحدها، بل نجده غذَّى قصيدته بمختلف الروافد البلاغية التي كستها حلاوة وطلاوة حملت المتلقي على الانجذاب إليها وصولا إلى التسليم بأفكاره، كما سيتضح في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني

التقنيات الحجاجية البلاغية للامية العجم

إذا كانت غاية الحجاج هي إقناع المتلقي، فإنه لا سبيل إلى ذلك دون إثارته وجذب انتباهه أولا، ولا سبيل إلى ذلك دون استخدام الوسائل البلاغية التي تساعده في إثارة انتباه المتلقي وتحقيق الانفعال الّمنشود لديه وتهيئته لتقبل أفكاره التي رصدها في خطابه، ولننظر كيف نجح الطغرائي في تغذَّية شعره بمختلف الروافد البلاغية التي كسته حلاوة وطلاوة حملت المتلقي على الانجذاب إلى شعره وصولا إلى التسليم بأفكاره، كما سيتضح، وهذه التقنيات البلاغية تتمثل في الصور البيانية والمحسنات البديعية.

١- الصور البيانية:

تمثل الصور البيانية إحدى الوسائل والتقنيات الحجاجية التي يستعين بها المرسِل في إقناع المرسَل إليه بأفكاره التي يريد توصيلها إليه، وذلك لما تحمله من تأثير قوي وفعال في نفس المتلقي؛ حيث تضع أمام عينيه الأشياء المعنوية في صورة حسية ملموسة مما يكون أدعى في القبول، وتوجيه السلوك، وقد أثرى الطغرائي لاميته بالكثير من الصور البيانية على اختلافها مما أكسبها قوة حجاجية فعالة كما سيتضح.

أ- التشبيه[١]:

وهو تقنية بلاغية تحمل بعدًا حجاجيًّا قويًّا؛ حيث يساعد في إخراج المعنى الخفي في صورة جلية مما يزيد من إيضاح الفكرة وسرعة قبولها لدى

(١) "التشبيه في اللغة التمثيل، وعند علماء البيان: مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة" ينظر جواهر البلاغة ص٢١٩.

المتلقي، وقد ضمَّن الطغرائي لاميته بعض التشبيهات، مما أكسبها بعدًا حجاجيًّا عاليًا، ومن ذلك قوله:

لو أنَّ في شرفِ المأوى بلوغِ مُنَى لم تبرحِ الشمسُ يومًا دارةَ الحَمَلِ

الطغرائي هنا يحاول حثّ صاحبه على التنقل والترحال مستدلا على كلامه بحجة تمثيلية بالغة في الإقناع تتجلى في التشبيه الضمني الذي وضح من خلاله أنه "لو كان المقام في المكان الشريف يبلغ المنى، ما برحت الشمس مقيمة في دارة الحمل؛ لأنها في هذا البرج في غاية الشرف"(١)، وفي هذا من الحث على التنقل والترحال ما لا يخفى.

كذلك يتجلى التشبيه كتقنية حجاجية في قول الطغرائي:

وإنْ علاني مَن دوني فلا عَجَبٌ لي أسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ

الشاعر هنا يحاول أن يسلي نفسه ويتناسى همه؛ حيث علاه من دونه موضحا أنَّ ذلك لا يقلل من شأنه، مدعمًا قوله بالحجة التمثيلية التي وردت في هذا البيت (وهو تشبيه ضمني)؛ حيث مثَّل نفسه بالشمس، ومثَّل مَن دونه بكوكب زحل، "وهو تمثيل مطابق لمن يكون بحالته التي ذكرها وشرحها من ارتفاع السُفُل، وانحطاط الكرام؛ لأن الشمس في الفلك الرابع، وزحل في السابع"(٢)، ولا شك أنَّ هذا المثل الذي ضربه ينبئ عن سعة علمه واطلاعه، وقد أكسب التشبيه هنا كلامه قوة حجاجية ساعدت في استمالة ذهن المتلقي وإقناعه بالفكرة.

---

(١) المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ كمال الدين محمد بن موسى الدميري ــ تحقيق/ حيدر فخري ميران ، عباس هاني الجراخ ــ دار الضوان ــ المملكة الأردنية الهاشمية ــ ط١ــ ١٤٣٣هـ ــ ٢٠١٢م ــ ص٢٢٤.

(٢) المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ ص٢٤٨.

كما يبرز التشبيه كتقنية حجاجية في قول الطغرائي:

ناءٍ عن الأهلِ صِفرُ الكفِّ منفردُ كالسيفِ عُرِّي متناهُ من الخَلَلِ

فالطغرائي هنا يصف حاله ويشكو وحدته في الغربة بعيدًا عن الأهل، وقد اتخذ من التشبيه حجة يستدل بها على سوء حاله؛ حيث شبه نفسه في بعده عن أهله وأحبابه بالسيف الذي جُرِّد من غمده وعُرِّي من زينته، وقد ساعدت هذه الصورة على توجيه فكر المتلقي إلى مقصد الشاعر الذي أراده مما كان له دوره في التأثير والإقناع.

ب- الاستعارة(١):

تحمل الاستعارة طاقة حجاجية قوية اكتسبتها مما تقوم عليه من تناسي التشبيه، وادعاء الاتحاد التام بين المشبه والمشبه به، وهذا يجعلها أقوى في التأثير على المتلقي، لهذا كانت الاستعارة "من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدفه الحجاجية"(٢)، ولننظر كيف استعان بها الطغرائي في عدة مواضع، منها قوله:

طالَ اغترابي حتى حنَّ راحلتي ورحْلُها وقرَى العسَّالةِ الذُّبُلِ

يتحدث الشاعر هنا عن قسوة الغربة، وحنينه إلى وطنه وأحبابه، وقد استدل على ذلك باستعارة الحنين للرحل مبالغة في إظهار شدة شوقه وحنينه لوطنه، وتأتي هذه الصورة لتنهض بوظيفة إقناعية وهي تصوير هيمنة الغربة على كل ما حوله حتى الحيوان والجماد، وهذا يشعرنا بمدى ما يحس به الشاعر من مرارة الغربة وقسوة الأيام.

---

(١) هي "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي" ينظر جواهر البلاغة ص ٢٥١.

(٢) اللغة والحجاج ــ أبو بكر العزاوي ــ العمدة في الطبع ــ الدار البيضاء ــ ط١ ــ ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٦م ــ ص١٠٥.

كما يتجلى توظيف الاستعارة للقيام بدور إقناعي في قول الطغرائي:

تنامُ عنِّي وعينُ النجمِ ساهرةٌ وتستحيلُ وصبغُ الليلِ لم يَحُلِ

الطغرائي هنا يعاتب صديقه ويوجه إليه اللوم والعتاب على تخليه عنه وقت الشدة متهما إياه بخذلانه، والشاعر هنا يتخذ من الاستعارة حجة قوية يستدل بها على كلامه؛ حيث شخص النجم وجعل له عينا، ثم هو أجرى مقارنة بين صاحبه الذي ينام وينشغل عنه وهو في أمس الحاجة إليه، وبين النجم الذي تظل عيناه ساهرة متيقظة، وهذا يُظهر ما يكابده الشاعر من مشقة وما يلاقيه من متاعب.

كذلك وظف الشاعر الاستعارة لتقوية الحجاج في قوله:

إنَّ العلا حدثتني وهي صادقةٌ في ما تحدثُ أنَّ العزَّ في النُقَلِ

يحض الشاعر هنا المتلقي على التنقل والأسفار لطلب العز، متخذًا من الاستعارة دليلًا قويًّا على صدق كلامه، فقد أسند الحديث للعلا عن طريق المجاز العقلي، فجعلها إنسانا يتحدث ويخبر أنَّ العز في التنقل والأسفار، وقد جاءت الحكمة هنا في تركيب اسمي مسبوق بأداة توكيد **(إنَّ)** مما ساعد في إخراج المعنى في قالب تقريري أضفى عليه صفة العموم، مما عمل على استمالة ذهن المتلقي، وإقناعه بالفكرة.

ج – الكناية[١]:

تقوم الكناية بوظيفة حجاجية ذات أهمية كبيرة حيث تحمل في طياتها الدليل الذي يتم من خلاله إقناع المتلقي، وقد عرفها السكاكي بأنها: "ترك

(١) "الكناية هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي" ينظر جواهر البلاغة ص٢٨٧.

التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك"[١]، وقد لجأ إليها الطغرائي في بعض الأبيات لأهميتها الكبيرة في الإقناع، ومن ذلك قوله:

تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كَبِدٍ ∴ حَرَّي ونارُ القِرى منهم على القُلَلِ

يقتلنَ أنضاءَ حبٍ لا حِراكَ بها ∴ وينحرونَ كرامَ الخيلِ والإبلِ

يشفى لديغُ الغَوَاني في بيوتهمُ ∴ بنهلةٍ من لذيذِ الخَمْرِ والعَسَلِ

فالشاعر يتخذ من هذه المقطوعة الغزلية سبيلا للتخفيف عن نفسه المكلومة التي أضنتها الغربة والحنين إلى الوطن، وهو يتحدث فيها عن شدة شوقه لهؤلاء الفتيات اللآتي يتميزن بدرجة وفيرة من الجمال، وقد حشد الشاعر بعض الكنايات متخذاً منها حجة قوية على كلامه، وتظهر هذه الكنايات في قوله: **(تبيت نار الهوى منه في كبد)**، فهي كناية عن شدة الشوق وحرقة القلب، وقوله: **(يقتلن أنضاء حب)** وهي كناية عن شدة تأثير جمال نساء هذا الحي في العشاق، وكذلك قوله: **(لذيذ الخمر والعسل)** "كناية عن رضاب الفتيات"[٢]، وقد طلب الطغرائي من صاحبه في بداية المقطوعة الغزلية مساعدته في الوصول إلى الحي المقيم فيه هؤلاء الفتيات، وذلك في قوله:

فهلْ تُعينُ على غَيٍّ هممتُ بهِ ∴ والغَيُّ يزجرُ أحيانًا عن الفَشَلِ

إني أريدُ طروقَ الحيِّ من إضَمٍ ∴ وقد حَمَاهُ رماةٌ من بني ثُعَلِ

---

(١) مفتاح العلوم ــ السكاكي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط١ ــ ١٩٨٣م ــ ص٤٠٢.

(٢) المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ ص١٩٢.

ثم اتخذ الشاعر من الكنايات السابقة دليلا قويًا على شدة جمال هؤلاء الفتيات، في محاوله منه لإقناع صاحبه لخوض المخاطر والصعاب معه في سبيل الوصول إليهن.

كذلك من المواضع التي قامت فيها الكناية بوظيفة إقناعية، قول الطغرائي:

تقدمتني أناسٌ كان شوطهم وراءَ خطوِي لو أمشي على مَهَلِ

فالشاعر هنا يدلل على سوء حظه وإخفاقه في سفره من خلال الكناية؛ حيث يعد هذا البيت كناية عن ضيق حاله وخذلان الدهر له؛ حيث أعاقه عن التقدُّم في حين سمح لمن دونه أن يتقدموه، ولا شك أنَّ الكناية تحمل طاقة حجاجية قوية لما تختص به من إفادتها المعنى مصحوبًا بالدليل.

وبالتأمل فيما سبق يتبين مقدرة الشاعر الفائقة في توظيف الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، وشحنها بطاقة حجاجية قوية كان لها دورها الفعال في إقناع المخاطب بأفكاره.

٢- المحسنات البديعية:

لا شك أنَّ الوظيفة الرئيسة للمحسنات البديعية وظيفة فنية جمالية تكمن في إضفاء نوع من الرونق والجمال على الكلام، وهذا مما أكسبها وظيفة أخرى بجانب الوظيفة الجمالية هي الوظيفة الحجاجية حيث جُبلت النفس إلى الميل إلى الموسيقى الجذابة، مما كان له دوره في التأثير والإقناع، ومن ثم توجيه السلوك، وهذا هو الهدف الرئيس وراء الحجاج، ولننظر كيف ضمَّت لامية العجم الكثير من المحسنات البديعية، مما أكسبها طاقة حجاجية قوية.

أ- الجناس[١]:

لا شك أنَّ الجناس يحمل قيمة فنية عالية؛ حيث يساعد في تزيين الألفاظ وإضفاء نغمة موسيقية جذابة عليها، مما كان له دوره في جذب المتلقي وشد انتباهه، وهذا أكسبه دورًا إقناعيًّا فعالًا، ومما يزيده جمالا أن يأتي عفو الخاطر دون تكلف، أو تصنع، ولنرى مدى توفيق الطغرائي في استخدام الجناس لخدمة نصه الحجاجي، ومن ذلك قوله:

أصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ وحِليةِ الفضلِ زانتني لَدَى العَطَلِ

الشاعر هنا يحتمي بالحكمة في محاولة منه لتخفيف جزعه وقلقه جراء من لاقاه من متاعب وصعاب أثناء غربته عن وطنه ومكوثه في الزوراء في بغداد، ويحاول الشاعر هنا أن يستجمع قواه ويذكر نفسه بأمجاده كوسيلة منه لتعزية نفسه وتثبيتها أمام ما تلاقيه من محن وخطوب، وقد وظف الشاعر الجناس الناقص بين **(صانتني ــ زانتني)**، وكذلك بين **(الخطل ــ العطل)**[٢] للاحتجاج به على مكارم أخلاقه وحسن صفاته، ومما زاد فعالية الوظيفة الحجاجية لهذه الألفاظ تشابه الإيقاع الموسيقي لهذه الكلمات، مما جعل لها تأثيرًا قويًّا في نفس المتلقي.

كذلك وظف الطغرائي الجناس لخدمة نصه الحجاجي في قوله:

ولا أخلُّ بغزلانٍ تغازلني ولو دهتني أسودُ الغيلِ بالغيلِ

فالطغرائي هنا عمد إلى الجناس التام بين لفظ **(الغيل)** في قوله **(أسود الغيل)**، و**(الغيل)** في قوله **(بالغيل)**، ليبرهن من خلاله على شجاعته وإقدامه على المخاطر في سبيل تحيق هدفه، "فالغيل الأول يقصد به مكان الأسود،

(١) "الجناس: هو أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى" ينظر جواهر البلاغة ص٣٢٥.
(٢) (الخطل: الاعوجاج، العطل: العري) ينظر شرح لامية العجم ــ ص٥.

وبالغيل الثانية يقصد بها الشر"[١]، وقد حملت هاتان الكلمتان طاقة حجاجية قوية بما تحملان من جذب المتلقي إلى البحث عن فحوى الشاعر وقصده من وراء هذين اللفظين المتشابهين.

وهكذا يتضح ورود الجناس في لامية العجم دون تكلف أو تصنع أو تعقيد، مما كان له دوره في جذب المتلقي وشد انتباهه لمعرفة المعنيين المختلفين لهذين اللفظين المتحدين، وهذا أكسبه دورًا إقناعيًّا فعالًا.

ب - السجع[٢]:

يعد السجع أحد فنون البديع التي تكسب الكلام قيمة فنية جمالية، ولا شك أنَّ السجع بما يحدثه من تناغم موسيقي جذاب يكون له أثره في استمالة المتلقي، مما يدفعه إلى الاستماع الجيد للمتكلم، لذلك كان السجع أحد الوسائل التي تساعد في تقوية الحجاج وحمل المتلقي على الإقتناع، وقد استعان به الطغرائي لإثراء لاميته بالبعد الحجاجي، ومن ذلك قوله:

أصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ وحِليةِ الفضلِ زانتني لَدَى العَطَلِ

استطاع الطغرائي أن يوظف "السجع المرصع"[٣] منذ بداية القصيدة حيث ظهر بين قوله **(الخطل)**، في نهاية الشطر الأول، و**(العطل)** في نهاية الشطر الثاني، مما كان له دوره في خلق إيقاع موسيقي متميز يجذب انتباه المتلقي من بداية القصيدة، وقد حمَّله الشاعر بطاقة حجاجية قوية استطاع من

---

(١) لاميتي العرب والعجم "البلاغة والجمال"ـ (رسالة ماجستير) ـ إعداد/ زايري بثينة ـ طرباق ربعية ـ إشراف: الشافعي بديار ـ ٢٠١٩/ ٢٠٢٠م ـ ص٤٥.

(٢) "السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير" ينظر جواهر البلاغة ص٣٣٠.

(٣) "السجع المرصع هو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية" ينظر جواهر البلاغة ص٣٣٠.

خلاله التأثير على المتلقي وحمله على التسليم والإذعان بتحلي الشاعر بمكارم الأخلاق التي كانت سببًا في صونه من الوقوع في الزلل.

أيضًا من المواضع التي وظف الشاعر فيها السجع لخدمة الحجاج، قوله:

فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ لا سكَني بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي

اكتسب هذا البيت طاقة حجاجية قوية تمثلت في توظيف "السجع المتوازي"(١) بين كلمتي **(سكَنِي)**، في نهاية الشطر الأول، و**(جَمَلِي)** في نهاية الشطر الثاني؛ حيث كان لهما دلالات وجهها الشاعر إلى المتلقي فضلا عن إضفاء جمالية موسيقية جذابة وهي أنَّ السكن والجَمَل أو وسيلة التنقل من أهم الأشياء التي تربط الإنسان بالمكان، فإذا لم يتوفرا في المكان، فلا معنى لوجود الإنسان فيه.

كما يبرز دور السجع في تقوية الحجاج في قول الطغرائي:

فلا صديقَ إليه مُشْتَكَى حَزَنِي ولا أنيسَ إليه منتهى جَذَلِي

استند الشاعر هنا إلى السجع المتوازي بين كلمتي **(حَزَنِي)** في نهاية الشطر الأول، و**(جَذَلِي)** في نهاية الشطر الثاني، متخذا منه حجة يستدل بها على مراده، ومما قوى من الطاقة الحجاجية هنا الطباق أيضًا بين **(حَزَنِي)**، و**(جَذَلِي)**، وقد استطاع شاعرنا أن يوجه المتلقي من خلالها إلى مقصده، فالإنسان يحتاج في غربته إلى الصديق المخلص الذي يقف بجانبه في وقت الحزن والفرح، فإذا لم يجد هذا الصديق، فإن ذلك مما يزيد من ضيق نفسه بالغربة وحنينه إلى وطنه.

وهكذا يتضح مدى توفيق الطغرائي في الاستعانة بالسجع لإثراء لاميته بالبعد الحجاجي، فضلا عما يحمله من قيمة فنية جمالية.

---

(١) "السجع المتوازي هو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط" جواهر البلاغة ص٣٣١.

ج – الطباق[١]:

والطباق وإن كان من المحسنات البديعية التي تضفي على الكلام رونقًا وجمالًا، إلا أنَّ له قيمة حجاجية كبيرة؛ حيث يبرز المعنى من خلال ضده، وكما قيل بالضد تتضح الأشياء، من هنا كان الطباق أحد التقنيات الحجاجية التي عمد إليها الطغرائي في الكثير من أبياته، ومنها قوله:

حلوُ الفكاهةِ مرُّ الجِدِّ قد مُزجتْ بقسوةِ البأسِ فيه رِقَّةُ الغَزَلِ

الطغرائي هنا يثني على صاحبه بالصفات الطيبة والخلال الحميدة "فهو صاحب حلو المزاج، طيب الأخلاق، كريه الجد وهذه صفة مدح؛ لأن الشدة في الاجتهاد محمودة، فهو قد مزجت فيه الحلاوة من رقة الغزل بالمرارة من شدة البأس"[٢]، وقد أكسب الشاعر كلامه شحنة حجاجية قوية من خلال الطباق الذي يظهر بين **(حلو مر)**، و**(قسوة رقة)** حيث أثبت من خلاله الصفات الفريدة التي يمتاز بها عن غيره، مما ساعد في ترسيخ الفكرة لدى المرسل إليه، وحمله على الاقتناع بها.

كذلك استعمل الشاعر الطباق كتقنية من تقنيات الحجاج في قوله:

تنامُ عنِّي وعينُ النجمِ ساهرةٌ وتستحيلُ وصبغُ الليلِ لم يَحُلِ

يبرز الطباق الإيجابي بين قوله **(تنام ــ ساهرة)**، والطباق السلبي بين قوله **(تستحيل ــ لم يحل)**، وقد جاء محملا بطاقة حجاجية قوية؛ حيث أثبت الشاعر من خلاله خذلان صاحبه له وتخليه عنه وقت الشدة؛ حيث ينام صاحبه وينشغل عنه في الوقت الذي يكون الشاعر في أمس الحاجة إليه،

---

(١) "الطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام" ينظر جواهر البلاغة ص٣٠٣.

(٢) المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ ص١٣١، وما بعدها.

ويتغير ويتقلب عليه رغم ما يقاسيه ويكابده، مما جعل "الليل طويل عليه لم ينسلخ من سواده إلى الفجر"(١)، وهذا منتهى الخذلان.

ومن المواضع التي أثرى بها الشاعر نصه الحجاجي من خلال الطباق، قوله:

فإنْ جنحتَ إليهِ فاتخذْ نفقًا في الأرضِ أو سُلَّمًا في الجوِ فاعتزلِ

يتجلى الطباق في هذا البيت بين قوله **(الأرض ــ الجو)**، وقد استطاع الطغرائي توظيفه وشحنه بطاقة حجاجية قوية ساعدت في إقناع المخاطب باستحالة السلامة بين الناس في كل الأحوال.

أيضًا وظَّف الشاعر الطباق لتقوية الحجاج في قوله:

رضا الذليلُ بخفضِ العيشِ مسْكَنَةٌ والعزُّ تحت رسيمِ الأينُقِ الذُّلُلِ

يحث الطغرائي هنا المخاطب على الحركة والتنقل عن مواطن الذل(١)، وقد عمد إلى الطباق الذي ظهر بين قوله **(الذليل ــ العز)**، موظفا إياه لإضفاء بعدا وقوة في الحجاج حيث ساعد على بيان ما يترتب على طلب السلامة من الذل وخفض العيش، وما يصحب التنقل والترحال وخوض غمار الحياة من العز ودعة العيش.

كما أضفى الطباق طاقة حجاجية عالية في قول الشاعر:

لعله إنْ بَدَا فضلي ونقصُهُمُ لعينهِ نامَ عنهم أو تنبَّه لي

يشكو الطغرائي هنا سوء حظه رغم ما يتصف به من حميد الخصال، في الوقت الذي يرى الحظ فيه يحالف الجهال رغم ما هم عليه من الجهالة، وقد وظف اشاعر الطباق بين **(فضلي ــ نقصهم)**، و**(نام ــ تنبه)**، محاولا إقناع المتلقي من خلاله بأحقيته في حياة أفضل مما يعيشها، وإنما الحظ دائما لا يحالف إلا الجهال.

---

(١) المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ ص٢١٨ بتصرف.

كذلك يتجلى الطباق كوسيلة من وسائل الحجاج في قول الشاعر:

لم أرضَ بالعيشِ والأيامُ مقبلةٌ فكيفَ أرضى وقد ولَّتْ على عَجَلِ

ضمَّ هذا البيت طباقا بين **(لم أرض ــ أرض)**، وهو طباق سلب، حيث أتى باللفظ مثبتًا مرة ومنفيًّا مرة أخرى، وقد حمل بعدًا حجاجيًّا ساعد في استمالة المخاطب؛ حيث برهن الشاعر من خلاله على زهده في العيش والحياة، فهو لم يُقبل على العيش وهو في شبابه، وأيامه في إقبال، فليس من المعقول أن يُقبل على هذه الحياة وهو في شيخوخته وأيامه أصبحت في إدبار، ومما كثَّف الطاقة الحجاجية هنا وجود الكناية في قوله **(وقد ولَّت على عجل)** فهذا كناية عن شيخوخته، مما ساعد في ترسيخ الفكرة في ذهن المخاطب.

وتأتي المقارنة حجة أخرى في قول الشاعر:

غالي بنفسي عِرفاني بقيمتِها فصُنْتُها عن رخيصِ القدرِ مبتذلِ

يظهر الطغرائي هنا اعتزازه بنفسه وصونها عن كل ما يحط من شأنها، وقد وظف الطباق هنا بين **(غالي - رخيص)**، مما كان له أثر فعال في المحاجَّة؛ حيث ساعد المرسَل إليه في عقد مقارنة بين الطغرائي المعتز بنفسه الذي يترفع عن كل ما يقلل من شأنه حتى لو خسر الكثير في سبيل ذلك، وبين غيره ممن يسعون إلى تحقيق المكاسب حتى لو كان ذلك على حساب كرامتهم وعزة نفسهم.

كما لجأ الشاعر إلى المقابلة لاستمالة المتلقي في قوله:

غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ مسافةُ الخُلفِ بين القولِ والعملِ

الطغرائي هنا يشكو الحال التي وصل إليها الناس من حوله؛ حيث قلَّ الوفاء بينهم وكثر الغدر، وخالف القول العمل، وهو في هذا البيت "يوضح الدلالة على عدم حسن الظن بالأيام، ويحقق ما ادعاه من الحزم في ذلك وأن الإنسان لا يعول على أحد"[(١)]، وتبرز هنا مقابلة بين قوله **(غاض الوفاء)**،

(١) المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ ص٢٦٢.

وقوله **(فاض الغدر)**، وقد اتخذ الشاعر منها بعدًا حجاجيًّا ساعده في استمالة ذهن المتلقي وإقناعه بفكرته.

ومن المواضع التي يبرز فيها الطباق كوسيلة إقناعية، قول الشاعر:

وشانَ صدقُكَ عند الناسِ كِذبهُمُ وهلْ يطابقُ معوَجٌّ بمعتدلِ؟

الطغرائي هنا يعلل نفور الناس منه وأن ذنبه الوحيد في ذلك هو صدقه في زمن انتشر فيه الكذب، وقد اتخذ من الطباق بين **(الصدق الكذب)**، و**(معوجّ معتدل)** حجَّة قوية يستدل بها على صدق كلامه.

كذلك عمد الشاعر إلى الطباق كتقنية من تقنيات الاستمالة في قوله:

اقنعْ تعزّ ولا تطمعْ تذلّ ولا تكثرْ تملّ ولا تغترَّ بالمُهَلِ

ففي هذا البيت تفيض الحكمة؛ حيث ختم الشاعر به لاميته موجهًا المخاطب فيه إلى القناعة حيث تعز صاحبها وترفعه، والبعد عن الطمع؛ حيث يذل صاحبه ويخفضه، وعدم الإكثار من الاختلاط حتى لا يمله الناس، وعدم الاغترار بالمُهَل، وقد عمد الشاعر هنا إلى الطباق الذي يظهر بين قوله **(اقنع تطمع)**، و**(تعز تذل)**، متخذًا منه وسيلة حجاجية حاول من خلالها إقناع المتلقي وحمله على الامتثال بما أشار إليه من توجيهات.

وعلى ضوء ما سبق يتبين مهارة الشاعر في توظيف المحسنات البديعية من جناس، وسجع، وطباق، والإفادة مما تتميز به من طابع موسيقي جذاب في التأثير على المتلقي، مما أكسب النص الشعري بُعدًا حجاجيا قويًّا كان له أثره الفعال في استمالة المتلقي.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الطغرائي لم يقتصر فقط على تغذية قصيدته بالتقنيات اللغوية والبلاغية، وإنما زاد عليهما التقنيات المنطقية التي خاطب فيها عقل المخاطب في محاولة لاستمالته وإقناعه بالفكرة المرادة، مما ساعد في تقوية الحجاج في قصيدته كما سيوضحه المبحث القادم بإذن الله تعالى.

المبحث الثالث

التقنيات الحجاجية الإقناعية للامية العجم

وهي التي يخاطب فيها المتحدث عقل المخاطب في محاولة لاستمالته وإقناعه بالفكرة المرادة، وقد تنوَّعت هذه التقنيات بين الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، كما سيتضح، وقد اعتمدتُ في تصنيف هذه التقنيات على تصنيف "**برلمان**"، و"**تيتكاه**" في كتابهما "**مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة**"(١)، ومن التقنيات الإقناعية التي أثرى بها الطغرائي لاميته ما يلي:

١- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية:

وهذه الحجج وإن كانت تستند إلى المنطق إلا إنها تبعد عن الصرامة المنطقية الخالصة؛ حيث يتنافى ذلك وطبيعة الحجاج التي تتصف بالمرونة في الإقناع بعيدًا عن الإلزام، وتتخذ هذه الحجج عدَّة أشكال، وسوف يتضح كيف اعتمد الطغرائي على بعضها في تقوية الحجاج لديه، ومن هذه الحجج:

أ - التناقض وعدم الاتفاق:

وتقوم هذه الحجة على التقابل بين الفكرة ونقيضها، ويقصد بالتناقض "أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها"(٢) أي أنه من المستحيل الجمع بينهما، ولنرى مدى توفيق الطغرائي في توظيف التناقض متخذا منه حجة يستدل بها على مقصوده في بعض المواضع مما كان له أثره في تقوية الحجاج، ومن ذلك قوله:

فقلتُ أدعوكَ للجُلَّى لتنصرني وأنتَ تَخْذُلُنِي في الحادثِ الجَلَلِ

---

(١) ينظر أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ــ ص٣٢٤: ٣٤٨.

(٢) في نظرية الحجاج ــ ص٤٢، وما بعده.

فقد استدل الشاعر هنا على خذلان صاحبه لـــه معتمـــدًا علـــى حجـــة التناقض؛ حيث إن الاستنصار بصاحبه في الأمور العظيمة لا يتفق مع الواقع الذي يعيشه مع هذا الصاحب من خذلانه له في الأمور الحقيرة، وفي هذا من السخرية ما لا يخفى.

كذلك اعتمد الشاعر على حجة التناقض كتقنية من تقنيات الاستمالة في قوله:

حبُّ السلامةِ يُثني همَّ صاحبِهِ عن المعالي ويُغرِي المرءَ بالكَسَلِ

فقد استدل الشاعر هنا على أنَّ حب السلامة يعوق التقدم نحو المعـــالي معتمدًا على حجة التناقض وعدم الاتفاق؛ حيث يحتاج العلا إلـــى المجازفـــة وخوض الصعاب مما يتنافى وطلب السلامة.

كما يتجلى التناقض كوسيلة من وسائل الحجاج في قول الشاعر:

ترجُو البقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ بها فهلْ سمعتَ بظلٍّ غيرِ منتقلِ؟

فالشاعر هنا يتعجب ممن يطمع في العيش في هذه الدار الفانية، متخـــذا من حجة التناقض دليلا على مراده، فالبقاء لا يتفق مع طبيعة الدنيا التـــي لا تثبت على حال.

أيضًا من المواضع التي اعتمد الشاعر فيها على تقنية التناقض وعـــدم الاتفاق لاستمالة المتلقي قوله:

أعلِّل النفسَ بالآمالِ أرقُبُها ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ

فالشاعر هنا يحاول أن يصبر نفسه ويسلي عنها ما تعيشه مـــن يـــأس، معتمدًا على حجة عدم الاتفاق بين واقعه البائس، وبين ما يتيحه الأمل له من الطمع في مستقبل مشرق، لذا نجد الطغرائي يستخدم أسلوب التعجـــب الـــذي يتجلى في قوله **(ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ!)** مما كان له أثـــره فـــي استمالة المخاطب.

أيضًا اعتمد الشاعر على حجة التناقض لإقناع المتلقي في قوله:

وحسنُ ظنُّكَ بالأيامِ مَعْجَزَةٌ فظُنَّ شرًا وكنْ منها على وَجَلِ

غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ مسافةُ الخُلفِ بين القولِ والعملِ

فالشاعر هنا يحذِّر من حسن الظن بالأيام، ويحاول إقناع المتلقي بفكرته مبررًا ذلك عن طريق مقابلة يجريها بين حسن الظن بالأيام ونتائجه السلبية؛ حيث ينتج عنه العجز والضعف، ثم هو يعتمد على حجة عدم الاتفاق بين ما يقوله الناس وما يفعلونه وما يتبع ذلك من شيوع الغدر وقلة الوفاء مما يستدعي الحذر من الناس وسوء الظن بهم.

ب – علاقة التبادلية:

"وتتمثل هذه الحجة في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة"(١)، وقد استطاع الطغرائي توظيف العلاقة التبادلية في بعض المواضع مما كان له أثره في تقوية الحجاج وتأثيره في المخاطب، ومن ذلك قوله:

تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كَبِدٍ ∴ حَرَّي ونارُ القِرى منهم على القُلَلِ

يقتلنَ أنضاءَ حبٍ لا حِراكَ بها ∴ وينحرونَ كرامَ الخيلِ والإبلِ

فالشاعر هنا يستند إلى حجة قائمة على العلاقة التبادلية بين نساء الحي ورجاله وصولا إلى مدح كليهما، فجعل هذا الحي له ناران "نار لنسائه تبيت في كبده حرَّاء، ونار لرجاله تبيت في القرى مضرمة على القلل، وهذا في غاية المدح لهذا الحي لأن نساءه حسان ورجاله كرام"(٢)، فالنساء يشعلن نار الهوى في قلوب العشاق لشدة جمالهن، والرجال يشعلون نار القِرى لشدة

(١) في نظرية الحجاج ــ ص٤٥.

(٢) المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ ص١٨٥.

جودهم وكرمهم، كما تتجلى العلاقة التبادلية هنا أيضًا في إسناده القتل لنساء هذا الحي، والنحر لرجاله، والقتل والنحر من جنس واحد، فأسند القتل للنساء على سبيل المجاز، فجعل نساء هذا الحي "يقتلن العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم فما لهم حركة البتة"(١)، وأسند النحر للرجال، فهم ينحرون كرام الإبل لإكرام ضيوفهم، وهكذا استطاع الشاعر توظيف هذه العلاقة التبادلية لإقناع المخاطب بفضل هذا الحي الذي اجتمعت فيه صفات المدح لنسائه ورجاله على السواء.

٢- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

وهذه "الحجج القائمة على بنية الواقع تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلَّم بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلمًا بها"(٢)، وهذه الحجج متنوعة وكثيرة، وقد استطاع الطغرائي توظيف بعضها في قصيدته، ومن ذلك الحجة السببية، وحجة السلطة، وحجة التبرير أو التبذير.

أ - التتابع أو الحجة السببية:

وفي هذه الحجة "يتم اللجوء إلى العلاقات السببية لغايات حجاجية، وتختلف الغاية باختلاف الأسباب الموظفة فقد تنحصر في تفسير ظاهرة بسيطة إذا كان السبب المستعمل مباشرًا وبسيطًا وطبيعيًّا، وقد تتوخى تحليل ظاهرة معقدة إذا كان السبب عميقًا أو غير مباشر، أو نتيجة لتحليل أكثر

(١) المقصود الأتم في شؤح لامية العجم ــ ص١٨٩.

(٢) في نظرية الحجاج ــ ص٤٩.

صعوبة"[١]، ولننظر إلى مدى توفيق الطغرائي في إيراد هذا النوع من الحجج في بعض المواضع، ومنها قوله:

أعدى عدوَّكَ أدنى من وثقتَ به ∴ فحاذرْ الناسَ واصحبهم على دَخَلِ

وإنما رَجُلُ الدنيا وواحدُها ∴ من لا يعوِّلُ في الدنيا على رَجُلِ

يحذر الشاعر هنا من مصاحبة الناس بسبب ما لاقاه منهم من ظلم وعدم تقدير، ويدعو إلى التقليل من مخالطتهم، والحذر منهم، وعدم الوثوق بهم، فربما يكمن الخطر في أقرب الناس، وكما قيل: **(احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة)**، وكما قيل أيضًا: **(من مأمنه يؤتى الحذر)**، معللا ذلك بأنَّ الرجل مكتمل الرجولة هو الذي يكتفي بنفسه، ولا يتَّكل على الآخرين، فقد اتخذ الشاعر من البيت الثاني حجة وسببًا لما ادَّعاه في البيت الأول.

كما اعتمد الشاعر على الحجة السببية في قوله:

فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ لا سَكَني ∴ بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي

ناءٍ عن الأهلِ صِفرُ الكفِّ منفردُ ∴ كالسيفِ عُرِّي متناهُ من الخَلَلِ

فلا صديقَ إليه مشتكى حَزَني ∴ ولا أنيسَ إليه منتهى جَذَلي

فالشاعر هنا يستنكر مكوثه في منطقة الزوراء ببغداد، متبعا ذلك بحشد مجموعة من الحجج كانت سببًا في هذا الاستنكار، وهي أنه لا يمتلك فيها شيئا من مسكن أو ناقة أو أصدقاء، وكثرة التعليل تفصح عن أرق الشاعر وضيق نفسه من الإقامة بالزوراء؛ حيث اجتمع له فيها ضيق الحال مع الوحدة وتتجلى هنا صورة قاتمة تلقي بظلالها على ما يلاقيه الشاعر من مرارة الغربة وقسوة الأيام.

وتبرز الحجة السببية أيضًا في قول الطغرائي:

---

(١) النظرية الحجاجية ــ ص٣٣.

أهبتُ بالحظِ لو ناديتُ مستمعًا والحظُ عنِّي بالجهالِ في شُغُلِ

يبرِّر الشاعر هنا عدم تحقيق العز المنشود رغم اغترابه وتركه لوطنه بانشغال الحظ عنه بالجهال، وقد جسَّم الشاعر هنا الحظ حيث أهاب به وناداه، وهذا يظهر مدى رغبة الطغرائي في استمالة الحظ، إلا أنه لم يلتفت إليه، وهذا يذكرنا بقول الشاعر:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًا ولكن لا حياةَ لمن تنادي

ب – التعايش: حجة السلطة:

وتقوم على "مواجهة إيجابية بين الفعل وبين الشخص كأن تقبل أطروحة بإرجاعها إلى صاحبها الجدير بالثقة، أو يقدم كتاب بواسطة كاتب مشهور، وتوظف حجية السلطة بكيفية متواترة في الإنشاء المدرسي والنقد الأدبي والخطاب العلمي وفي الخطابات الإشهارية بكل أنواعها"(١)، وتتعدد مصادر السلطة "تعددًا كبيرًا فقد تكون الإجماع، أو الرأي العام، أو العلماء، أو الفلاسفة، أو الكهنوت، أو الأنبياء، وقد تكون السلطة غير شخصية مثل الفيزياء، أو العقيدة، أو الدين..."(٢)، وقد أغنى الطغرائي نصَّه بطاقة حجاجية قوية من خلال اعتماده على حجة السلطة في بعض المواضع التي تطرَّق إليها في قصيدته، ومنها قوله:

لو أنَّ في شرفِ المأوى بلوغِ مُنَى لم تبرحِ الشمسَ يومًا دارةَ الحَمَلِ

وتتجلى حجة السلطة هنا من خلال الحقيقة العلمية التي أوردها الشاعر في الشطر الثاني والتي يحتج بها على أنَّ الخير في التنقل وكثرة الأسفار

---

(١) النظرية الحجاجية ــ ص٣٥.

(٢) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ــ عبد الله صولة ــ مسكيلياني للنشر ــ تونس ــ ط١ ــ ٢٠١١م ــ ص٥٣.

وليس في بقاء الإنسان جامدًا في مكانه، ومفاد هذه الحقيقة العلمية أنَّ الشمس تترك دارة الحمل رغم أنها "في هذا البرج في غاية الشرف"(١)، ومع ذلك فهي تنتقل منه، وتغيِّر مسارها حتى تضيء العالم بأكمله، وقد اتخذ الشاعر من هذه الحجة شاهدًا على دعواه، فهو يدفع ظن من يظن أن مجرد شرف المكان يكفي المرء لبلوغ المنى، مما كان له أثره الفعال في إقناع المتلقي.

وتبرز حجة السلطة أيضًا في قول الطغرائي:

وإنْ علاني من دوني فلا عَجَبٌ لي أسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ

هذا البيت جاء في سياق الفخر، وقد وظف الطغرائي فيه حجة السلطة من خلال المثل الذي ضربه بالشمس حيث أتي بحقيقة علمية تكمن في دنو الشمس عن زحل مستدلا به على علو قدره عن هؤلاء الذين سبقوه في المكانة، وقد اتخذ الشاعر من هذه الحقيقة العلمية شاهدًا على دعواه مما كان له أثره في حمل المخاطب على الإذعان والتسليم.

ج- حجة التبرير أو التبذير:

وهي لا تعني الزيادة في الشيء والإسراف فيه كما يتبادر إلى بعض الأذهان، وإنما تعني الحجَّة "المؤسسة على استمرارية الالتزامات السابقة، حتى لا تضيع الجهود المكتسبة"(٢)، ولننظر كيف وظَّف الطغرائي هذه الحجَّة في بعض المواضع،ومنها قوله:

أصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ ∴ وحِليةِ الفضلِ زانتني لَدَى العَطَلِ

مَجْدي أخيرًا ومَجْدي أولًا شَرَعُ ∴ والشمسُ رأْدَ الضُحَى كالشمسِ في الطَفَلِ

---

(١) المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ ص٢٢٤.

(٢) النظرية الحجاجية ــ ص٣٤.

يصرح الطغرائي في البيت الأول بتحليه بمكارم الأخلاق؛ حيث الرأي السديد الأصيل الذي ينبع من ذات نفسه غير تابع فيه لغيره، وطيب المعدن والتحلي بالفضائل، متخذا من حجَّة التبرير أو التبذير دليلا على صدق دعواه؛ حيث يؤكد في البيت الثاني ثباته على مكارم الأخلاق وعدم تفريطه فيها، أو قبول المساومة عليها رغم تقدم العمر به مما قد يضطر البعض إلى تقديم بعض التنازلات، أما هو فلم يفعل ذلك، فهو ثابت على المجد منذ شبابه وحتى شيخوخته، فجاء البيت الثاني بمثابة التبرير لما ذكره سابقا، ولكنه ليس تبريرًا معتمدًا على السببية، وإنما تبرير يفهم من خلال الثبات على هذا الأمر والإصرار عليه، وقد استطاع الشاعر بمهارة فائقة توظيف اللغة لدعم فكرته هذه؛ حيث وظف الطباق بين **(أخيرا، وأولا)**، والتكرار بين **(مجدي، ومجدي)**، وبين **(الشمس، والشمس)**، وتشبيه نفسه بالشمس في الشطر الثاني، مما كان له أثره في استمالة المخاطب.

٣-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

وهي التي يحاول الشاعر من خلالها بناء قاعدة عامة أو تقوية درجة التصديق بها، أو تأسيس واقع، ومن ذلك الحالات الخاصة أو المثل أو الشاهد.

أ - تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

وفي تلك الحالة يقوم الشاعر بمحاولة بناء الواقع وتأسيسه من خلال نقل تجربته الخاصة للمتلقي منطلقًا منها إلى فكرة عامة "فيتأسس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها بحيث تصبح حالة عامة لا مجرد حالة خاصة تم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها"[(١)]، وقد فعل الطغرائي ذلك في قوله:

إني أريدُ طروقَ الحيِّ من إضَمٍ ∴ وقد حَمَاهُ رماةٌ من بني ثُعَلِ

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ــ سامية الدريدي ــ عالم الكتب الحديثة ــ إربد ــ الأردن ــ ط٢ ــ ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م ــ ص٢٤٣.

يحمونَ بالبيضِ والسمرِ اللدانِ بهم ∴ سُودَ الغدائرِ حُمْرَ الحَلي والحُلَلِ
فسرْ بنا في زمامِ الليلِ معتسفًا ∴ فنفحةِ الطيبِ تهدينا إلى الحلَلِ
فالحِبُّ حيثُ العدى والأسْدُ رابضَةٌ ∴ حولَ الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسَلِ
نؤُمُّ ناشئةً بالجزعِ قد سُقيتْ ∴ نِصَالها بمياه الغُنْجِ والكَحَلِ
قد زادَ طِيبَ أحاديثِ الكرامِ بها ∴ ما بالكرائمِ من جُبنٍ ومن بخلِ
تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كَبِدٍ ∴ حَرَّي ونارُ القِرى منهم على القُلَلِ
يقتلنَ أنضاءَ حبٍ لا حِراكَ بها ∴ وينحرونَ كرامَ الخيلِ والإبلِ
يشفى لديغُ الغَوَاني في بيوتهمُ ∴ بنهلةٍ من لذيذِ الخَمْرِ والعَسَلِ
لعلَّ إلمامةٌ بالجزعِ ثانيةً ∴ يدُبُّ فيها نسيمُ البرءِ في عِلَلا
أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شُفعتْ ∴ برشقةٍ من نبالِ الأعينِ النُجُلِ
ولا أهابُ الصفاحَ البيضَ تسعدني ∴ باللمحِ من خلل الأستارِ والكللِ
ولا أخلُّ بغزلانٍ تغازلني ∴ ولو دهتني أسودُ الغيلِ بالغيلِ
حبُّ السلامةِ يُثني همَّ صاحبِهِ ∴ عن المعالي ويُغري المرءَ بالكَسَلِ

تكشف هذه المقطوعة الغزلية عن تجربة يريد الشاعر معايشتها، تنم عن شجاعته وإقدامه على المخاطر في سبيل الوصول إلى هدفه وهو زيارة هذا الحي ولقاء المحبوب، محاولا إقناع صاحبه بشتى الوسائل بخوض هذه التجربة معه، ثم هو يتبع هذه المقطوعة الغزلية بالحكمة التي تتجلى في البيت الأخير والتي تدعم وجهة نظره وتبرِّرها، بل وتنقلها من مجرد تجربة خاصة إلى أساس يبني به واقعًا عامًا، وهو أنَّ حب السلامة يعوق صاحبه عن بلوغ المجد والعلا.

كذلك يبرز تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة في موضع آخر، وهو قوله:

يا وارداً سؤرَ عيشٍ كلهُ كَدَرٌ ∴ أنفقتَ صفوكَ في أيامكَ الأولِ

فيمَ اقتحامُكَ لجَّ البحرِ تركبُهُ ∴ وأنتَ تكفيكَ منه مصَّةَ الوَشَلِ

مُلْكُ القناعةِ لا يخشى عليهِ ولا ∴ يحتاجُ فيه إلى الأنصارِ والخَوَلِ

يتحسر الطغرائي هنا على ما فات وانقضى من عمره وهو لا يزال يصارع مواجع الحياة هذا الأمر الذي لا يتناسب مع تقدمه في العمر وما وصل إليه من ضعف ووهن؛ لذا فهو يرى أن النجاة تكمن في أن يكتفي المرء من هذه الحياة باليسير، ثم هو يحاول أن يقنع المتلقي بوجهة نظره فيتبع كلامه بحكمة يبرر بها وجهة نظره التي وصل إليها من خلال تجاربه الخاصة فينتقل بهذه الحكمة من الكلام عن تجربته الخاصة إلى قاعدة عامة يؤسس بها الواقع وهي أن ملك القناعة يغني صاحبه عن الحاجة، وهو في الوقت نفسه يختلف عن أي ملك سواه في كونه لا يحتاج إلى من يحافظ عليه من الأعوان والأنصار.

ب – الاستدلال بواسطة التمثيل:

وفيه يحاول الشاعر إقناع المتلقي بأمر ما من خلال التشابه بينه وبين أمر آخر، ف"الاستدلال بالتمثيل إنما هو بناء بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة بفضل تشابه في الصلات"(١)، ولننظر إلى مدى توفيق الطغرائي في إيراد هذا النوع من الحجج في بعض المواضع، ومنها قوله:

مَجْدي أخيرًا ومَجْدي أولًا شَرَعُ ∴ والشمسُ رأْدَ الضُحَى كالشمسِ في الطَفَلِ

(١) مدخل إلى الخطابة ــ أوليفي روبول ــ ترجمة/ رضوان العصبة ــ مراجعة/ حسان الباهي ــ أفريقيا الشرق ــ المغرب ــ د.ط ــ ٢٠١٧م ــ ص٢١٥.

يكشف الطغرائي هنا عن حرصه على مكارم الأخلاق موضحًا أنَّ مجده ثابت لم يتغير مع تقدم العمر به، مدعمًا قوله بحجَّة تمثيلية تمثَّلت في تشبيه مجده بالشمس في وضوحها وثباتها رغم تغير وقتها بين الشروق والغروب، مما كان له تأثيرٌ قويٌّ في إذعان المتلقي بفكرة الشاعر.

وثمة موضع آخر يبرز فيه الاستدلال بواسطة التمثيل، وهو قول الشاعر:

غالي بنفسي عِرفاني بقيمتِها ∴ فصُنْتُها عن رخيصِ القدرِ مبتذلِ

وعادةُ السيفِ أن يزهى بجوهرِهِ ∴ وليسَ يعملُ إلا في يدي بَطلِ

فالشاعر هنا يعتز بنفسه ويفتخر بصونها عن كل رخيص مبتذل، ثم هو يأتي بحجة تمثيلية يستدل بها على ذلك تمثلت في التشبيه الضمني؛ حيث شبَّه نفسه بالسيف الذي يكمن شرفه في كمال جوهره إلا أنَّ الغاية منه وهي القطع تحتاج إلى يدي بطل والشاعر كذلك، وإن كان شرفه يكمن في جوهره إلا أنه يحتاج إلى من يسانده ويقف بجواره، وقد ساعد هذا التشبيه في إكساب الكلام طاقة حجاجية قوية كان لها تأثيرها الفعَّال في نفس المتلقي.

ج – الاستدلال بواسطة الشاهد:

وهذه الحجة تقوم على استدعاء بعض النصوص كالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وبعض الأشعار، وذلك لدعم فكرته وتأييدها مما يكون له تأثير قوي على المتلقي، وقد فعل الطغرائي ذلك؛ حيث استدعى آية قرآنية داعمًا بها حجته وذلك في قوله:

حبُّ السلامةِ يُثني همَّ صاحبِهِ عن المعالي ويُغري المرءَ بالكَسَلِ

فإنْ جنحتَ إليهِ فاتخذْ نفقًا في الأرضِ أو سُلَّمًا في الجوِ فاعتزلِ

فالشاعر هنا ينقل للمتلقي خلاصة تجاربه التي أوصلته إلى أنَّ حبّ السلامة لا يتفق وطلب المعالي موضحا أنَّ طلب السلامة محال، حيث ضمن كلامه هنا جملة شرطية مفادها استحالة السلامة بين الناس سواء أحفرتَ نفقًا أو بنيتَ سلمًا، مقتبسًا ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٥)، مما قوَّى من حجيَّة الشاعر وأضفى مسحة من القداسة على شعره.

د – الاستدلال بواسطة المثل:

وفيه يستدعي الشاعر واقعة خاصة معروفة ومقبولة لدى الناس يستدل بها على واقعة مشابهة لها، فالأمثال هي "بنيات مستمدة من الواقع الماضي بما يختزله من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية ذات قيمة مجتمعية باهتمام الأفراد وتستخدم داخل القول الحجاجي للإقناع بما تقدمه من تصور تجريدي للأشياء وما تتضمنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحجاجي"(١)، وسوف يتضح كيف أثرى الطغرائي نصه الحجاجي بإيراد المثل في بعض المواضع، ومنها قوله:

إنْ كان ينجعُ شيء في ثباتِهُمُ على العهودِ فسبقُ السيفِ للعَذَلِ

يتحدث الشاعر عما وصل إليه الناس من غدر وإخلاف للعهود، ويحاول إيجاد دواء لهم يشفيهم من هذا الداء الذي تمكَّن منهم فلا يجد سوى السيف لهم دواء، فدواؤهم في قتلهم، وهذا كناية عن استحالة إصلاح حالهم، ثم هو يستدل على ذلك بإيراد مثل هو **(سبق السيف الغزل)** هذا المثل الذي "قاله ضبَّة بن

(١) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ــ قدور عمران ــ عالم الكتب الحديث ــ إربد ــ الأردن ــ د.ط ــ ٢٠١٢م ــ ص٤٦.

أدّ لما لامه الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم"[١]، وقد أراد الشاعر من ضرب هذا المثل إظهار يأسه من إصلاح حال الناس.

كما يتجلى استدلال الشاعر بالمثل في موضع آخر، وهو قوله:

أريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها على قضاءِ حقوقٍ للعلى قِبَلِي
والدهرُ يعكسُ آمالي ويقنعني من الغنيمةِ بعدَ الكدِّ بالقَفَلِ

يفصح هذان البيتان عن ضيق حال الطغرائي مما ترجمه في أمنيته التي تمناها وهي أن يكون لديه بعض المال حتى يستعين به على إعانة الآخرين، ثم هو يكشف فعل الدهر به حيث لم يكتف بمنعه من تحقيق ما يتمنى بل إنه استطاع إقناعه بتخليه عن أمنيته، ويستعين الشاعر هنا بضرب مثل يستدل به على فعل الدهر يتمثل في قوله **(ويقنعني من الغنيمة بعد الكد بالقَفَل)** وهو مثل "يضرب عند القناعة بالسلامة، وأول من قاله امرؤ القيس بن حجر في بيت له وهو:

وقد طوَّفت في الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ"[٢]

فقد أقنع الدهر شاعرنا من الغنيمة بالرجوع سالمًا بعد التعب والمشقة، وهذا يجسِّد يأسه من بلوغ مناه، وقد ساعده هذا المثل في تقوية حجته وإقناع المتلقي بها.

٤- الحجج التي تستدعي القيم:

وذلك عندما يبرر الشاعر لرأي أو موقف ما معتمدا فيه على إحدى القيم التي تناسب هدفه، ومن ذلك القيم الكونية والتي تعني "استدعاء الخير والحق والجمال واتخاذها مراجع في الكلام وخلفيات إليها يستند القول، وعليها يتأسس

(١) مجمع الأمثال ــ جـ ١ ــ ص ٣٢٨
(٢) مجمع الأمثال ــ جـ ١ ــ ص٢٩٥.

الرأي، أو الموقف"[١]، وقد استدعى الطغرائي بعض هذه القيم لدعم فكرته مما ساعد في إقناع المخاطب، ومن ذلك قوله:

غالي بنفسي عِرفاني بقيمتِها فصُنْتُها عن رخيصِ القدرِ مبتذلِ

رسم الشاعر لنفسه صورة تجعلها محل تقدير بين الناس مستندا إلى قيمة أخلاقية وهي الاعتزاز بالنفس مدللا عليها بصون نفسه عن كل ما يقلل من شأنها.

كذلك من المواضع التي قام فيها الطغرائي باستدعاء القيم قوله:

وذي شطاطٍ كصدرِ الرمحِ معتقلِ بمثلهِ غيرَ هيَّابٍ ولا وَكِلِ

فالشاعر هنا يصف رفيقه في السفر، ويحتج لما يتحلى به من حُسن الصفات متخذا من قيم الخير حجة يستدل بها على ذلك؛ حيث ذكر ما يتحلى به هذا الصديق من "كمال الخلق، والخلق والصفات التي تطلب من رفاق السفر بالليل من الشجاعة والإقدام، وغير ذلك"[٢]، مما كان له وقعه في نفس المتلقي من وضع صورة مثالية لهذا الرفيق.

وثمة موضع آخر استدعى فيه الشاعر القيم ليستدل بها على مقصوده، وذلك في قوله:

يحمونَ بالبيضِ والسمرِ اللدانِ بهم سُودَ الغدائرِ حُمْرَ الحَلي والحُلَلِ

يمدح الطغرائي في هذا البيت رجال الحي من بني ثعل الذين قصد الذهاب لهم مستندًا في مدحه إلى قيمة الشجاعة، مؤكدًا استحقاقهم لهذه الصفة؛ حيث إنهم مسلحون بالسيوف والرماح مستعدون دائمًا لحماية نساء الحي، مما كان له أثره في إقناع المخاطب باستحقاقهم للمدح بصفة الشجاعة والإقدام.

---

(١) الحجاج في الشعر العربي ــ ص ٢٧١.

(٢) المقصود الأتم ــ ص١٢٤.

ويمدح الطغرائي في موضع آخر رجال هذا الحي ونساءه معًا مستدعيًا بعض القيم، وذلك في قوله:

يقتلنَ أنضاءَ حبٍ لا حِراكَ بها وينحرونَ كرامَ الخيلِ والإبِلِ

فهذا البيت جمع فيه الشاعر بين مدح نساء الحي ورجاله على السواء، فهو يمدح نساء الحي مستندا إلى قيمة الجمال، فهنَّ نساء فائقات الجمال، مدللا على ذلك بأنَّ جمالهن الأخَّاذ يكاد يقتل العشاق الذين وقعوا في حبهن، أما رجال الحي فيمدحهم مستندا إلى قيم الخير؛ حيث يمدحهم بالكرم مدللا على ذلك بما يفعلون مع ضيوفهم من نحر كرام الإبل وتقديمها لهم، وهكذا تتضح قدرة الشاعر في تقوية هدفه الحجاجي من خلال استدعاء بعض القيم التي جاءت بمثابة الدعم القوي لرأيه، مما أفاد في إقناع المتلقي وتوجيه فكره الوجهة التي أرادها الشاعر.

وعلى ضوء ما سبق يتضح أنَّ لامية العجم رغم كونها قصيدة غنائية تجسم العواطف والمشاعر والأحاسيس في تصوير بديع في ظلاله ورسومه وأبعاده، بيد أنها تُفصح عن بنية حجاجية ثرية، وتربط أجزاءها روابط حجاجية قوية، ويحكمها منطق خفي يجمع شتاتها، ويوحِّد أجزاءها، وهنا تكمن عبقرية الشاعر وملكاته الفنية المبدعة، وتمكُّنه من أدواته الفنية.

الخاتمة

- معظم التقنيات الحجاجية التي اهتدى إليها علماء النقد في العصر الحديث، وخاصة علماء الغرب، أمثال (برلمان)، و(تيتكاه) وغيرهما، جاءت تابعة لما أسَّسه الشعراء العرب القدامى في أشعارهم .
- ثراء لامية العجم بالتقنيات الحجاجية المتنوعة مما أثبت أنَّ الحجاج ليس حكرًا على قصائد النقائض ونحوها مما يحمل الطابع الحجاجي، بل إنَّ القصيدة الغنائية لا تختلف عن غيرها في كونها من الممكن أن تكون مادة خصبة للحجاج بمختلف أنواعه.
- أثرى الطغرائي لاميته ببعض التقنيات اللغوية كالتكرار والأساليب الإنشائية الطلبية، مما كان له أثره في استمالة المتلقي وتوجيه سلوكه وحمله على الاقتناع بفكرته.
- أضفى الطغرائي على لاميته قوة حجاجية من خلال استعمال بعض الروابط الحجاجية في إنجاز سلالم حجاجية، مما كان له دوره الفعال في استمالة المتلقي وإقناعه.
- استخدم الشاعر بعض الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، وشحنها بطاقة حجاجية قوية مما كان له أثرًا قويًّا في إقناع المخاطب بأفكاره .
- تمكَّن الشاعر من توجيه المحسنات البديعية وجهة حجاجية مستفيدًا مما تتميز به من طابع موسيقي جذاب في التأثير على المتلقي، مما أكسب النص الشعري بُعدًا حجاجيا قويًّا.
- اعتمد الشاعر على بعض الحجج الإقناعية التي يخاطب فيها عقل المتلقي في محاولة لاستمالته وإقناعه بالفكرة المرادة، كالحجج شبه

المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، مما كان له أثره في شحن لاميته بطاقة حجاجية عالية.

- أسَّس الطغرائي لبعض أفكاره، وثبتها لدى المتلقي عن طريق الربط بينها وبين بعض الأحكام المسلَّم بها، مما كان له أثره في الإذعان والتسليم.
- ظهرت مقدرة الشاعر في تأسيس الواقع عن طريق نقل بعض تجاربه الخاصة إلى المتلقي منطلقًا منها إلى فكرة عامة يمكن بناء الواقع من خلالها.
- وظَّف الطغرائي بعض القيم التي تناسب أهدافه، متخذًا منها وسيلة إقناعية لدعم أفكاره، مما كان له أثره الفعال في إقناع المتلقي .

(هذا والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل)

المصادر والمراجع:

المصادر

- ديوان الطغرائي ــ تحقيق علي جواد الطاهر، ويحيى الجبوري ــ مطابع الدوحة الحديثة ــ قطر ــ ط٢ ــ ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .
- معجم الأدباء ــ ياقوت الحموي ــ تحقيق/ إحسان عباس ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط١ ــ ١٩٩٣م .

أولا: الكتب الأدبية:

- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ــ فريق البحث في البلاغة والحجاج ــ إشراف/ حمادي صمود ــ جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ــ تونس ــ د.ط ــ د.ت .
- البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل ــ قدور عمران ــ عالم الكتب الحديث ــ إربد ــ الأردن ــ د.ط ــ٢٠١٢م .
- البيان والتبيين ــ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ــ تحقيق/ عبد السلام هارون ــ د.ط ــ د.ت.
- تبسيط التداولية "من أفعل اللغة إلى بلاغة الخطاب الساسي" ــ بهاء الدين محمد مزيد ــ شمس للنشر ــ القاهرة ــ د.ط ــ ٢٠١٠م .
- الجنى الداني ــ الحسن بن قاسم المرادي ــ تحقيق/ فجر الدين قباوة، محمد نديم فاضل ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط١ ــ ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان ــ السيد أحمد الهاشمي ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ــ د.ط ــ د.ت.

- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ــ سامية الدريدي ــ عالم الكتب الحديثة ــ إربد ــ الأردن ــ ط٢ ــ ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ــ عبد الله صولة ــ دار الفارابي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط١ ــ ٢٠٠١م.
- الحجاج واللغة ــ أبو بكر العزاوي ــ العمدة في الطبع ــ الدار البيضاء ــ ط١ ــ ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٦م .
- حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه ــ كمال الزماني ــ عالم كتب الحديث ــ إربد ــ الأردن ــ ط١ ــ ٢٠١٢م .
- رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية ــ رائد مجيد جبار ــ مؤسسة علوم نهج البلاغة ــ العراق ــ ط١ ــ ١٤٣٨هـ ــ ٢٠١٧م .
- شرح لامية العجم للطغرائي ــ الإمام جلال الدين السيوطي ــ دققها/ أحمد علي حسن ــ مكتبة الآداب ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ــ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ــ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ــ دار الجيل للنشر ــ القاهرة ــ ط٥ ــ ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية ــ عز الدين الناجح ــ مكتبة علاء الدين للنشر ــ تونس ــ ط١ ــ ٢٠١١م .
- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ــ عبد الله صولة ــ مسكيلياني للنشر ــ تونس ــ ط١ ــ ٢٠١١م .
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ــ طه عبد الرحمن ــ المركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء ــ ط١ ــ ١٩٩٨م .

- اللغة والحجاج ــ أبو بكر العزاوي ــ العمدة في الطبع ــ الدار البيضاء ــ ط١ ــ ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ــ ضياء الدين بن الأثير ــ دار نهضة مصر للطبع والنشر ــ القاهرة ــ د.ط ــ د.ت .
- مجمع الأمثال ــ أبو الفضل الميداني ــ تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ــ مطبعة السنة المحمدية ــ د.ط ــ د.ت .
- مدخل إلى الخطابة ــ أوليفي روبول ــ ترجمة/ رضوان العصبة ــ مراجعة/ حسان الباهي ــ أفريقيا الشرق ــ المغرب ــ د.ط ــ ٢٠١٧م .
- مفتاح العلوم ــ السكاكي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط١ ــ ١٩٨٣م ــ
- المقصود الأتم في شرح لامية العجم ــ كمال الدين محمد بن موسى الدميري ــ تحقيق/ حيدر فخري ميران ، عباس هاني الجراخ ــ دار الضوان ــ المملكة الأردنية الهاشمية ــ ط١ــ ١٤٣٣هـ ــ ٢٠١٢م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ــ حازم القرطاجني ــ تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ ط٣ ــ١٩٨٦م .
- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ــ محمد طروس ــ دار الثقافة ــ الدار البيضاء ــ ط١ ــ ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

ثانيا: **كتب التفسير**:

- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ــ أبو جعفر الطبري ــ تحقيق/ محمود محمد شاكر ــ أحمد محمد شاكر ــ مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة ــ ط٢ ــ د.ت.

ثالثا: كتب المعاجم والقواميس:

- التوقيف على مهمات التعريف ــ عبد الرؤف المناوي ــ تحقيق/ عبد الحميد صالح حمدان ــ عالم الكتب ــ القاهرة ــ ط١ ــ ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .
- الصحاح ــ أبو نصر بن حماد الجوهري ــ دار الحديث ــ القاهرة ــ د.ط ــ ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م .
- القاموس الموسوعي للتداولية ــ جاك موشلر ، آن ريبول ــ دار سيناترا ــ تونس ــ د.ط ــ ٢٠١٠م.
- لسان العرب ــ ابن منظور ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان ــ ط٣ ــ ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م.
- المعجم الفلسفي ــ جميل صليبا ــ دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ ١٩٨٢م .
- المفردات في غريب القرآن ــ الراغب الأصفهاني ــ تحقيق/ محمد سيد كيلاني ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان ــ د.ط ــ د.ت .

رابعا: الرسائل العلمية:

- لاميتي العرب والعجم "البلاغة والجمال" (رسالة ماجستير) ــ إعداد/ زايري بثينة ، طرباق ربعية ــ إشراف: الشافعي بديار ــ ٢٠١٩/ ٢٠٢٠م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٥١٤١
٢-	Abstract	٥١٤٣
٣-	تقديم	٥١٤٥
٤-	التمهيد: (إطلالة على حياة الشاعر، وقصيدته لامية العجم)	٥١٥١
٥-	بين يدي قصيدة لامية العجم:	٥١٦٠
٦-	المبحث الأول : التقنيات الحجاجية اللغوية والتداولية للامية العجم	٥١٦٥
٧-	المبحث الثاني : التقنيات الحجاجية البلاغية للامية العجم	٥١٨٤
٨-	المبحث الثالث :التقنيات الحجاجية الإقناعية للامية العجم	٥١٩٧
٩-	الخاتمة	٥٢١٢
١٠-	المصادر والمراجع:	٥٢١٤
١١-	فهرس الموضوعات	٥٢١٨

تم بحمد الله